فوائد منتقاة من تفسير جزء عم

للشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين

-رحمه الله-

[سورة الفاتحة]

١. هذه السورة قال العلماء: إنها تشتمل على مجمل معاني القرآن في التوحيد، والأحكام، والجزاء، وطريق بني آدم، وغير ذلك؛ ولذلك سميت (أم القرآن)، والمرجع للشيء يسمى (أُمًّا).

٢. قوله تعالى: [الحمد] وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم؛ الكمال الذاتي، والوصفي، والفعلي؛ فهو كتما في ذاته، وصفاته وأفعاله؛ ولابد من قيد وهو (المحبة، والتعظيم)؛

قال أهل العلم: لأن مجرد وصفه بالكمال بدون محبة، ولا تعظيم: لا يسمى حمدا؛ وإنما يسمى مدحا.

٣. من فوائد الآية [الحمد لله رب العالمين]

تقديم وصف الله بالألوهية على وصفه بالربوبية؛ وهذا إما لأن (الله) هو الاسم العلَم الخاص به، والذي تتبعه جميع الأسماء؛ وإما لأن الذين جاءتهم الرسل ينكرون الأولية فقط.

٤. قوله تعالى: [مالك يوم الدين]

[الدين] تارة يراد به الجزاء، كما في الآية؛ وتارة يراد به العمل، كما في قوله تعالى: [لكم دينكم ولي دين]، ويقال: (كما تدين تُدان) أي كما تعمل تجازى.

٥. وفي قوله تعالى: [مالك] قراءة سبعية: [ملك]، و[الملك] أخص من [المالك]

وفي الجمع بين القراءتين فائدة عظيمة؛ وهو أن ملكه جل وعلا ملك حقيقي؛ لأن من الخلق من يكون ملكا، ولكن ليس بمالك: يسمى ملكاً اسم وليس له من التدبير شيء؛ ومن الناس من يكون مالكا، ولا يكون ملكا: كعامة الناس؛ ولكن الرب عز وجل مالك وملك.

٦. قوله تعالى: [إياك نستعين]

الاستعانة نوعان: استعانة تفويض؛ بمعنى أنك تعتمد على الله عز وجل، وتتبرأ من حولك، وقوتك؛ وهذا خاص بالله عز وجل؛ واستعانة بمعنى المشاركة فيما تريد أن تقوم به: فهذه جائزة إذا كان المستعان به حيّاً قادرا على الإعانة؛ لأنه ليس عبادة؛ ولهذا قال الله تعالى: [وتعاونوا على البر والتقوى]

٧. قوله تعالى: [اهدنا الصراط المستقيم]

الهداية تنقسم إلى قسمين:

هداية علم وإرشاد؛ وهداية التوفيق؛ فالأولى ليس فيها إلا مجرد الدلالة؛ والله عز وجل قد هدى بهذا المعنى جميع الناس، كما في قوله تعالى: [شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس]؛ والثانية فيها التوفيق للهدى، واتباع الشريعة، كما في قوله تعالى: [ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين]؛ وهذه قد يحرمها بعض الناس كما قال تعالى: [وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى] [فهديناهم] أي بينا لهم الحق، ودَلَلْناهم عليه؛ ولكنهم لم يوفقوا.

[سورة النبأ]

١. قوله تعالى: [كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون] والجملة الثانية توكيد للأولى من حيث المعنى، وإن كانت ليست توكيدا باعتبار اصطلاح النحويين؛ لأنه فصل بينهما وبين التي قبلها بحرف العطف، والتوكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده بشيء من الحروف.

٢. قوله تعالى: [لابثين فيها أحقابا] أب باقين فيها {أحقابا} أب مددا طويلة وقد دل القرآن الكريم على هذه المدد لا نهاية لها وأنها مدد أبدية كما جاء ذلك مصرحا به في ثلاث آيات من كتاب الله في سروة النساء في قوله تعالى: {إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا} وفي سورة الأحزاب: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا}، وفي سورة الجن في قوله تعالى: {ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا} فإذا كان الله صرح في ثلاث آيات من كتابه بأن أصحاب النار مخلدون فيها أبدا، فإنه يلزم أن تكون النار باقية أبد الآبدين وهذا هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، أن النار والجنة مخلوقتان ولا تفنيان أبدا، ووجد خلاف يسير من بعض أهل السنة في أبدية النار وزعموا أنها غير مؤبدة واستدلوا بحجج هي في الحقيقة شبه لا دلالة فيها لما ذهبوا إليه وإذا قورنت بالأدلة الأخرى فهو خلاف لا معول على المخالف فيه ولا على قوله، والواجب على المؤمن أن يعتقد ما دل عليه كتاب الله دلالة صريحة لا تحتمل التأويل، والآيات الثلاث التي سمعتم كلها آيات محكمة لا يتطرق إليها النسخ، ولا يتطرق إليها الاحتمال، أما عدم تطرق النسخ إليها فلأنها خبر وأخبار الله عز وجل لا تنسخ وكذلك أخبار رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، لأن نسخ أحد الخبرين بالآخر يستلزم كذب أحد الخبرين إما تعمداً من المخبر أو جهلاً بالحال وكل ذلك ممتنع في خبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم المبني على الوحي، وأما عدم تطرق الاحتمال فللتصريح بالأبدية في الآيات الثلاث، والمهم أيها الأخوة أنه يجب علينا أن نعتقد شيئين:

الشيء الأول: وجود الجنة والنار الآن وأدلة ذلك من القرآن والسنة كثيرة منها قوله تعالى: {وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}، والإعداد التهيئة وهذا الفعل [أعدت] فعل ماض يدل على أن الإعداد قد وقع وكذلك قال الله تعالى في النار: {واتقوا النار التي أعدت للكافرين}، والإعداد تهيئة الشيء والفعل هنا ماض يدل على الوقوع وقد جاءت السنة صريحة في ذلك في أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى الجنة ورأى النار.

الأمر الثاني: اعتقاد أنهما داران أبديتان من دخلهما وهو من أهلهما فإنه يكون فيهما أبداً، أما الجنة فمن دخلها لا يخرج منها كما قال تعالى: {وما هم منها بمخرجين}، وأما النار فإن عصاة المؤمنين يدخلون فيها ما شاء الله أن يبقوا فيها ثم يكون مآلهم الجنة كما شهدت بذلك الأخبار الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

٣. قوله تعالى: [لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا] نفى الله سبحانه وتعالى فيها البرد الذي تكون به برودة ظاهر الجسم، والشراب الذي تكون به برودة داخل الجسم.

٤. قوله تعالى: [إلا حميما وغساقا] الاستثناء هنا منقطع عند النحويين لأن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه، والمعنى ليس لهم إلا هذا الحميم وهو المار الحار المنتهي في الحرارة.

٥. قوله تعالى: [فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذاباً] هذا الأمر للإهانة والتوبيخ، يعني يقال لأهل النار: ذوقوا العذاب إهانة وتوبيخاً فلن نزيدكم إلا عذاباً ولن نخفف عنكم بل ولا نبقيكم على ما أنتم عليه لا نزيدكم إلا عذاباً في قوته ومدته ونوعه، وقد قرأتم في آية أخرى أنهم يقولون لخزنة جهنم: {ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب} تأمل هذه الكلمة من عدة أوجه:

أولاً: أنهم لم يسألوا الله سبحانه وتعالى وإنما طلبوا من خزنة جهنم أن يدعوا لهم، لماذا؟ لأن الله قال لهم:{اخسئوا فيها ولا تكلمون}، فرأوا أنفسهم أنهم ليسوا أهلاً لأن يسألوا الله ويدعوه بل بواسطة.

ثانيا: أنهم قالوا {ادعوا ربكم} ولم يقولوا: ادعوا ربنا، لأن وجوههم وقلوبهم لا تستطيع أن تتحدث أو أن تتكلم بإضافة ربوبية الله لهم أي بأن يقولوا ربنا، عندهم من العار والخزي ما يرون أنهم ليسوا أهلاً لأن تضاف ربوبية الله إليهم بل قالوا {ربكم} .

ثالثا: لم يقولوا يرفع عنا العذاب، قالوا: {يخفف} لأنهم آيسون نعوذ بالله، آيسون من أن يرفع عنهم. ثم انظروا أيضاً هل قالوا يخفف عنا العذاب دائماً؟ قالوا {يوماً من العذاب} يوماً واحداً، يتبين لكم إذا تصورتم هذه الحال، يتبين لكم ما هم عليه من العذاب والهوان والذل {وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي}. أعاذنا الله وإياكم منها.

٦. قوله تعالى: [يا ليتني كنت ترابا] تحتمل ثلاثة معانٍ:

المعنى الأول: ياليتني كنت تراباً فلم أُخلق، لأن الإنسان خُلق من تراب.

المعنى الثاني: ياليتني كنت ترابًا فلم أُبعث، أي كنت ترابًا في أجواف القبور.

المعنى الثالث: أنه إذا رأى البهائم التي قضى الله بينها وقال لها كوني تراباً فكانت تراباً قال: ليتني كنت تراباً أي كما كانت هذه البهائم . والله أعلم

[سورة النازعات]

١. قوله تعالى: [النازعات] يعني الملائكة الموكلة بقبض أرواح الكفار.

٢. قوله تعالى: [الناشطات] يعني الملائكة الموكولة بقيض أرواح المؤمنين.

٣. قوله تعالى: [السابحات] هي الملائكة تسبح بأمر الله.

٤. قوله تعالى: [فأراه الآية الكبرى] يعني أرى موسى فرعون الآية الكبرى أي العظمى، فما هي هذه الآية؟

الآية أن معه عصا من خشب من فروع الشجر كما هو معروف، فكان إذا وضعها في الأرض صارت حية تسعى ثم يحملها فتعود عصا، وهذا من آيات الله أن شيئا جمادا إذا وضع على الأرض صار حية تسعى، وإذا حمل من الأرض عاد في الحال فورا إلى حاله الأولى عصا في جملة العصي، وإنما بعثه عليه الصلاة والسلام بهذه الآية، وبكونه يدخل يده في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء أي من غير عيب، أي: بيضاء بياضا ليس بياض البرص ولكنه بياض جعله الله آية، إنما بعثه الله بالعصا واليد؛ لأنه في زمن موسى كان السحر منتشرا شائعا فأرسله الله عز وجل بشيء يغلب به السحرة الذين تصدوا لموسى عليه الصلاة والسلام.

قال أهل العلم: وفي عهد عيسى صلى الله عليه وسلم انتشر الطب انتشارا عظيما، فجاء عيسى بأمر يعجز الأطباء، وهو أنه كان لا يمسح على ذا عاهة إلا برئ، إذا جيء بشخص فيه عاهة، أي عاهة تكون، مسحه بيده ثم يبرأ بإذن الله {يبرئ الأكمه والأبرص} مع أن البرص لا دواء له لكن هو يبرئ الأبرص بإذن الله عز وجل، ويبرئ الأكمه الذي خلق بلا عيون، وأشد من هذا وأعظم أنه يحيي الموتى بإذن الله، يؤتى إليه بالميت فيتكلم معه ثم تعود إليه الحياة، وأشد من ذلك وأبلغ أنه يخرج الموتى بإذن الله من قبورهم، يقف على القبر وينادي صاحب القبر فيخرج من القبر حيا، وهذا شيء لا يمكن لأي طب أن يبلغه، ولهذا كانت آية عيسى في ذلك الوقت مناسبة تماما لما كان عليه الناس.

قال أهل العلم: أما رسول الله محمد صلى الله علسه وسلم فقد أتى إلى العرب وهم يتفاخرون في الفصاحة، ويرون أن الفصاحة أعظم منقبة للإنسان فجاء محمد صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن العظيم الذي أعجز أمراء الفصاحة، وعجزوا عن أن يأتوا بمثله، قال الله تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا} يعني لو كان بعضهم يعاون بعضا فإنهم لن يأتوا بمثله.

٥. قوله تعالى: [بناها] هذه جملة لا تتعلق بالتي قبلها، ولهذا ينبغي للقارئ إذا قرأ أن يقف على قوله {أم السماء} ثم يستأنف فيقول: {بناها} فالجملة استئنافية لبيان عظمة السماء، {بناها} أي بناها الله عز وجل، وقد بين الله سبحانه وتعالى في آية أخرى في سورة الذاريات أنه بناها بقوة فقال: {والسماء بنيناها بأيد} أي بقوة. وقد يظن الظان أن الأيد هنا جمع يد، وليس كذلك لأن أيد مصدر (آد) يئيد. أي قوي.

٦. قوله تعالى: [وأغطش ليلها] أغطشه أب أظلمه.

٧. قوله تعالى: [والأرض بعد ذلك] أي بعد خلق السماوات والأرض {دحاها} بين سبحانه هذا الدحو بقوله: {أخرج منها ماءها ومرعاها} وكانت الأرض مخلوقة قبل السماء كما قال الله تعالى: {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ}. فالأرض مخلوقة من قبل السماء لكن دحوها وإخراج الماء والمرعى منها كان بعد خلق السماوات.

٨. قوله تعالى: [ونهى النفس عن الهوى] أي عن هواها المخالف لأمر الله ورسوله، والنفس أمارة بالسوء لا تأمر إلا بالشر. ولكن هناك نفس تقابلها وهي النفس المطمئنة؛

وللإنسان ثلاث نفوس: مطمئنة، وأمارة، ولوامة وكلها في القرآن أما المطمئنة ففي قوله تعالى {يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربط راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي}.

وأما الأمارة بالسوء ففي قوله تعالى: {وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي}.

وأما اللوامة ففي قوله تعالى: {لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة} والإنسان يحس بنفسه بهذه النفس؛ يرى نفسه أحيانا نزعة خير فيحب الخير ويفعله، وهذه هي النفس المطمئنة، ويرى أحيانا في نفسه نزعة شر فيفعله، وهذه هي النفس الأمارة بالسوء، وتأتي بعد ذلك النفس اللوامة التي تلومه على فعل فتجده يندم على ما فعل من المعصية، أو لوامة أخرى تلومه على ما فعل من الخير، فإن من الناس من قد يلوم نفسه على فعل الخير وعلى مصاحبة أهل الخير ويقول/ كيف أصاحب هؤلاء الذين صدوني عن حياتي .. عن شهواتي.. عن لهوي، وما أشبه ذلك. فاللوامة نفس تلوم الأمارة بالسوء مرة، وتلوم المطمئنة مرة أخرى، فهي في الحقيقة نفس بين نفسين، تلوم النفس الأمارة بالسوء إذا فعلت السوء، وتندم الإنسان، وقد تلوم النفس المطمئنة إذا فعلت الخير.

٩. بعض العلماء يقول: إذا استفتاك شخص فاستغفر الله قبل أن تفتيه، لأن الذنوب تحول بين الإنسان وبين الهدى، واستنبط ذلك من قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}. وهذا استنباط جيد ويمكن أن يتنبط من قوله تعالى: { والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم} والاستغفار هو الهدى.

[سورة عبس]

١. قوله تعالى: [بأيدي سفرة] السفرة الملائكة، وسموا سفرة لأنهم كتبة مأخوذة من السَّفَر أو من السَّفْرِ وهو الكتاب كقوله تعالى {كمثل الحمار يحمل أسفاراً}.

وقيل: السفرة الوسطاء بين الله وبين خلقه، من السفير وهو الواسطة بين الناس، ومنه حديث أبي رافع رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج ميمونة قبل أن يحرم قال: "وكنت السفير بينهما" أي الواسطة. والصحيح أنهم سموا سفرة لهذا وهذا؛ لأنهم سفراء بين الله وبين الخلق، فجبريل عليه الصلاة والسلام واسطة بين الله وبين الخلق في النزول بالوحي، والكتبة الذين يكتبون ما يعمل الإنسان أيضاً يكتبونه ويبلغونه إلى الله عز وجل، والله تعالى عالم به حين كتابته وقبل كتابته.

٢. تلطف الله عز وجل بمخاطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال في أولها: {عبس وتولى أن جاءه الأعمى} ثلاث آيات لم يخاطب الله فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنها توبيخ شديد فلو وجهت إلى الرسول بالخطاب لكان فيه ما فيه لكن جاءت بالغيبة {عبس} وإلا لكان مقتضى الحال أن يقول: عبست وتوليت أن جاءك الأعمى، ولكنه قال: {عبس وتولى} فجعل الحكم للغائب كراهية أن يخاطب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الكلمات الغليظة الشديدة، ولأجل ألا يقع بمثل ذلك من يقع من هذه الأمة، والله سبحانه وتعالى وصف كتابه العزيز بأنه بلسان عربي مبين، وهذا من بيانه. وفي الآيات أيضاً دليل على جواز لقب الإنسان بوصفه مثل الأعمى والأعرج والأعمش، وقد كان العلماء يفعلون هذا، الأعرج عن أبي هريرة، الأعمش عن ابن مسعود... وهكذا، قال أهل العلم واللقب بالعيب إذا كان المقصود به تعيين الشخص فلا بأس به، وأما إذا كان المقصود به تعيير الشخص فإنه حرام؛

لأن الأول إذا كان المقصود به تبيين الشخص تدعو الحاجة إليه

والثاني ـ إذا كان المقصود به التعيير، فإنه لا يقصد به التبيين وإنما يقصد به الشماتة وقد جاء في الأثر "لا تظهر الشماتة في أخيك فيعافيه الله ويبتليك".

٣. قوله تعالى: [قُتِل الإنسان] {قُتِل} قال بعض العلماء: إن معناها لعن، والذي يظهر أن معناها أُهلك؛ لأن القتل يكون به الهلاك وهو أسلوب تستعمله العرب في تقبيح ما كان عليه صاحبه فيقولون مثلاً: قتل فلان ما أسوأ خلقه، قتل فلان ما أخبثه وما أشبه ذلك.

٤. قوله تعالى: [ما أكفره] قال بعض العلماء إن {ما} هنا استفهام أي: أي شيء أكفره؟ ما الذي حمله على الكفر؟

وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب يعني ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيماً لأن الله أعطاه عقلاً، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب وأمده بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر فيكون كفره عظيماً.

والفرق بين القولين أنه على القول الأول تكون {ما} استفهامية أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني تكون تعجبية يعني عجباً له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق والهدى والكفر والإيمان! والكفر هنا يشمل كل أنواع الكفر، ومنه إنكار البعث فإن كثيراً من الكفار كذبوا بالبعث، وقالوا: لا يمكن أن يُبعث الناس بعد أن كانت عظامهم رميماً كما قال تعالى {وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم}.

٥. قوله تعالى: [من أي شيء خلقه] استفهام تقرير لما يأتي بعده في قوله {من نطفة خلقه}.

٦. قوله تعالى: [فأقبره] أي جعله في قبر، أي مدفوناً ستراً عليه وإكراماً واحتراماً؛ لأن البشر لو كانوا إذا ماتوا كسائر الميتات جثثاً ترمى في الزبال لكان في ذلك إهانة عظيمة للميت ولأهل الميت، ولكن من نعمة الله سبحانه وتعالى أن شرع لعباده هذا الدفن، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {فأقبره} قال: أكرمه بدفنه.

[التكوير]

١. قوله تعالى: [إذا الشمس كورت] هذا يكون يوم القيامة، والتكوير: جمع الشيء بعضه إلى بعض ولفّه كما تكوّر العمامة على الرأس، والشمس كتلة عظيمة كبيرة واسعة في يوم القيامة يكورها الله عز وجل فيلفها جميعاً ويطوي بعضها على بعض فيذهب نورها، ويلقيها في النار عز وجل إغاظة للذين يعبدونها من دون الله، قال الله تبارك وتعالى: {إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم} أي تحصبون في جهنم {أنتم لها واردون}، ويستثني من ذلك من عُبد من دون الله من أولياء الله فإنه لا يلقى في النار كما قال الله تعالى بعد هذه الآية {إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم في ما اشتهت أنفسهم خالدون}.

٢. قوله تعالى: [وإذا النجوم انكدرت] يعني تساقطت كما تفسره الآية الثانية {وإذا الكواكب انتثرت} فالنجوم يوم القيامة تتناثر وتزول عن أماكنها.

٣. قوله تعالى: [وإذا العشار عطلت] العشار جمع عشراء، وهي الناقة الحامل التي تم لحملها عشرة أشهر وهي من أنفس الأموال عند العرب، وتجد صاحبها يرقبها ويلاحظها، ويعتني بها ويأوي إليها ويحف بها في الدنيا، لكن في الآخرة تعطل ولا يلتفت إليها؛ لأن الإنسان في شأن عظيم مزعج ينسيه كل شيء كما قال الله تبارك وتعالى {يوم يفر المرء من أخيه. وأمه وأبيه. وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه}.

٤. قوله تعالى: [وإذا الوحوش حشرت] الوحوش جمع وحش، والمراد بها جميع الدواب، لقول الله تعالى: {وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أُمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون}، تحشر الدواب يوم القيامة ويشاهدها الناس ويُقتص لبعضها من بعض، حتى إنه يقتص للبهيمة الجلحاء التي ليس لها قرن من البهيمة القرناء، فإذا اقتص من بعض هذه الوحوش لبعض أمرها الله تعالى فكانت تراباً، وإنما يفعل ذلك سبحانه وتعالى لإظهار عدله بين خلقه.

٥. قوله تعالى: [وإذا البحار سجرت] البحار جمع بحر وجمعت لعظمتها وكثرتها، فإنها تمثل ثلاثة أرباع الأرض تقريباً أو أكثر. هذه البحار العظيمة إذا كان يوم القيامة فإنها تُسجّر، أي توقد ناراً، تشتعل ناراً عظيمة وحينئذ تيبس الأرض ولا يبقى فيها ماء؛ لأن بحارها المياه العظيمة تسجّر حتى تكون ناراً.

٦. قوله تعالى: [وإذا السماء كشطت] في يوم القيامة تكشط يعني تُزال عن كمالها كما يكشط الجلد عند سلخ البعير عن اللحم، يكشطه الله عز جل ثم يطويها جل وعلا بيمينه، فالسماء تكشط يوم القيامة ويبقى الأمر فضاء إلا أن تعالى يقول {ويحمل عرش ربك فقهم يومئذ ثمانية} يكون بدل السماء التي فوقنا الآن العرش. اهـ [مختصرا].

٧. قوله تعالى: [وإذا الجحيم سعرت] الجحيم النار، وسميت بذلك لبعد قعرها وظلم مراءها. سعرت أي توقد. اهـ [مختصرا].

٨. قوله تعالى: [وإذا الجنة أزلفت] {أزلفت} يعني قُرِّبت وزُيِّنت للمؤمنين.

٩. ما أخبر الله به وعلمنا مدلوله فإنه أشد يقيناً عندنا مما شاهدناه بأعيننا أو سمعناه بأذاننا؛ لأن خبر الله لا يكذب، صدق، لكن ما نراه أو نسمعه كثيراً ما يقع فيه الوهم. قد ترى الشيء البعيد شبحاً تعينه بتصورك وهو خلاف الواقع، وقد تسمع الصوت فتظنه شيئاً معيناً في ذهنك وهو خلاف الواقع، فالوهم يرد على الحواس لكن خبر الله عز وجل إذا علم مدلوله لا يمكن أبداً أن يرد عليه شيء من الوهم لأنه خبر صدق، فهذه الأمور التي ذكرها الله في هذه الآيات أمور حقيقية يجب أن تؤمن بها كأنك تراها رأي عين، ثم بعد الإيمان بها يجب أن تعمل بمقتضى ما تدل عليه من الاتعاظ والانزجار والقيام بالواجب وترك المنهيات حتى تكون من أهل القرآن الذين يتلونه حق تلاوته.

١٠. قوله تعالى: [فلا أقسم] قد يظن بعض الناس أن {لا} نافية وليس كذلك، بل هي مثبتة للقسم ويؤتى بها بمثل هذا التركيب للتأكيد فالمعنى (أقسم بالخنس).

١١. قوله تعالى: [والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس] {عسعس} يعني أقبل، وقيل: معناه أدبر، وذلك أن الكلمة {عسعس} في اللغة تصلح لهذا ولهذا. ولكن الذي يظهر أن معناها (أقبل) لوافق أو ليطابق ما بعدها من القسم وهو قوله {والصبح إذا تنفس} فيكون الله أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله.

١٢. الحياة الحقيقية هي حياة الآخرة والدليل قوله تعالى في سروة الفجر{يقول يا ليتني قدمت لحياتي}.

١٣. قوله تعالى: [إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين] في هذه الآيات أقسم الله عز وجل على أن هذا القرآن قول هذا الرسول الكريم الملكي، وفي آية أخرى بيّن الله سبحانه وتعالى وأقسم أن هذا القرآن قول رسول كريم بشري في قوله تعالى {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر} فالرسول هنا في سورة التكوير رسول ملكي أي من الملائكة وهو جبريل عليه الصلاة والسلام، والرسول هناك رسول بشري وهو محمد عليه الصلاة والسلام، والدليل على هذا واضح. هنا قال {إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين} وهذا الوصف لجبريل، لأنه هو الذي عند الله، أما محمد عليه الصلاة والسلام فهو في الأرض. هناك قال {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر} ردًّا لقول الكفار الذين قالوا إن محمداً شاعر {ولا بقول كاهن} فأيهما أعظم قسماً {فلا أقسم بالخنس. الجوار الكنس. والليل إذا عسعس. والصبح إذا تنفس إنه لقول رسول كريم ذي قوة} أو {فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون إنه لقول رسول كريم}، الثاني أعظم، ليس فيه شيء أعمّ منه {بما تبصرون وما لا تبصرون} كل الأشياء إما نبصرها أو لا نبصرها. إذن أقسم الله بكل شيء. وهنا أقسم بالآيات العلوية فقط {فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس} هذه آيات علوية أفقية ، سبحان الله تناسب الرسول الذي أُقسم على أنه قوله وهو جبريل؛ لأن جبريل عند الله.

فإذا قال قائل: كيف الله يصف القرآن بأنه قول الرسول البشري، والرسول الملكي؟

فنقول: نعم الرسول الملكي بلّغه إلى الرسول البشري، والرسول البشري بلغه إلى الأمة، فصار قول هذا بالنيابة، قول جبريل بالنيابة وقول محمد بالنيابة، والقائل الأول هو الله عز وجل، فالقرآن قول الله حقيقة؛ لأنه المتكلم به ابتداء، وقول جبريل باعتبار أنه بلغه لمحمد، وقول محمد باعتبار أنه بلغه إلى الأمة.

١٤. قوله تعالى: [بضنين] بالضاد أي ببخيل، وفي قراءة {بظنين} بالظاء المسالة، أي بمتهم، من الظن وهو التهمة.

١٥. قوله تعالى: [إن هو إلا ذكر للعالمين] {إن} هنا بمعنى (ما) وهذه قاعدة: أنه إذا جاءت (إلا) بعد (إن) فهي بمعنى (ما) أي تكون نافية؛ لأن (إن) تأتي نافية، وتأتي شرطية، وتأتي مخففة من الثقيلة، والذي يبين هذه المعاني هو السياق.

١٦. قوله تعالى: [رب العالمين] إشارة إلى عموم ربوبية الله، وأن ربوبية الله تعالى عامة ولكن يجب أن تعلم أن العالمين هنا ليست كالعالمين في قوله {إن هو إلا ذكر للعالمين} فالعالمين الأولى {ذكر للعالمين} من أُرسل إليهم الرسول، أما هنا {رب العالمين} فالمراد بالعالمين كل من سوى الله، فكل من سوى الله فهو عالم؛ لأنه ما ثمّ إلا رب ومربوب، فإذا قيل رب العالمين تعيّن أن يكون المراد بالعالمين كل من سوى الله، كما قال الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ: "وكل من سوى الله فهو عالم، وأنا واحد من ذلك العالم".

١٧. قال الفقهاء –رحمهم الله– في القاضي: "ينبغي أن يكون ليناً من غير ضعف، وقوياً من غير عنف"، فلا يكون لينه يشطح به إلى الضعف، ولا قوته إلى العنف، يكون بين ذلك.

[سورة الانفطار]

١. قوله تعالى: [كلا بل تكذبون بالدين] {كلا} للإضراب، يعني مع هذا الخلق والإمداد والإعداد تكذبون بالدين أي بالجزاء، وتقولون إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين، فتكذبون بالدين أي بالجزاء، وربما نقول: وتكذبون أيضاً بالدين نفسه، فلا تقرّون بالدين الذي جاءت به الرسل والآية شاملة لهذا وهذا؛ لأن القاعدة في علم التفسير وعلم شرح الحديث: "أنه إذا كان النص يحتمل معنيين لا ينافي أحدهما الآخر فإنه يُحمل عليهما"

٢. قوله تعالى: [يعلمون ما تفعلون] إما بالمشاهدة إن كان فعلاً، وإما بالسماع إن كان قولاً، بل إن عمل القلب يطلعهم الله عليه فيكتبونه كما قال النبي عليه الصلاة والسلام {من هم بالحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، ومن همّ بالسيئة ولم يعملها كتبت حسنة كاملة}، لأنه تركها لله عز وجل والأول يثاب على مجرد الهم بالحسنة.

٣. قوله تعالى: [يصلونها] يعني يحترقون بها.

[سورة المطففين]

١. قوله تعالى: [ويل] كلمة ويل تكررت في القرآن كثيرا، وهي على الأصح كلمة وعيد يتوعد الله سبحانه وتعالى بها من خالف أمره، أو ارتكب نهيه على الوجه المفيد في الجملة التي بعدها.

٢. قوله تعالى: [الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون] {إذا اكتالوا على الناس} أي اشتروا منهم ما يكال {يستوفون} استوفوا منهم الحق كاملاً بدون نقص، {وإذا كالوهم أو وزنوهم} يعني إذا كالوا لهم أي هم الذين باعوا الطعام كيلاً، فإنهم إذا كالوا للناس أو باعوا عليهم شيئاً وزناً إذا وزنوا للناس نقصوا {يخسرون} فهؤلاء يستوفون حقهم كاملاً، وينقصون حق غيرهم، فجمعوا بين الأمرين، بين الشح والبخل، الشح: في طلب حقهم كاملاً بدون مراعاة أو مسامحة، والبخل: بمنع ما يجب عليهم من إتمام الكيل والوزن، وهذا المثال الذي ذكره الله عز وجل في الكيل والوزن هو في الحقيقة مثال، فيقاس عليه كل ما أشبه، كل من طلب حقه كاملاً ممن هو عليه ومنع الحق الذي عليه فإنه داخل في الآية الكريمة.

فمثلاً الزوج يريد من زوجته أن تعطيه حقه كاملاً ولا يتهاون في شيء من حقه، لكنه عند أداء حقها يتهاون ولا يعطيها الذي لها، وما أكثر ما تشكي النساء من هذا الطراز من الأزواج –والعياذ بالله– حيث إن كثيراً من النساء يريد منها الزوج أن تقوم بحقه كاملاً، لكنه هو لا يعطيها حقها كاملاً، ربما ينقص أكثر حقها من النفقة والعشرة بالمعروف وغير ذلك، والغريب أيها الإخوة أن هذا يقع كثيراً من الناس الذين ظاهرهم الالتزام حتى إن بعض النساء تقول أنا ما اخترته، أقول لهذا الزوج: إنه لما له من السمعة الحسنة والالتزام فإذا به ينقلب ويكون أسوأ حالاً بالنسبة لزوجته من أهل الفسق، فلا أدري عن هؤلاء الذين ظاهرهم الالتزام، هل يظنون أن الالتزام أن يقوم الإنسان بعبادة الله فقط ويضيع حقوق الخلق؟ أن يقوم بعبادة الله فقط ويضيع حقوق الناس؟

إن ظلم الناس أشد من ظلم الإنسان نفسه في حق الله؛ لأن ظلم الإنسان نفسه في حق الله تحت المشيئة إذا كان دون الشرك، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عاقبه عليه، لكن حق الآدميين ليس داخلاً تحت المشيئة لابد أن يوفى، ولهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام {من تعدون المفلس فيكم؟} قالوا: من لا درهم عنده ولا دينار أو قالوا: ولا متاع، قال: {لا، المفلس من يأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال –كثيرة– فيأتي وقد ظلم هذا، وشتم هذا، وضرب هذا، وأخذ مال هذا، فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت من حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار}، فنصيحتي لهؤلاء الذين يفرطون في حق أزواجهم سواءً كانوا من الملتزمين أو من غيرهم أن يتقوا الله عز وجل فإن النبي صلى الله عليه وسلّم أوصى بذلك في أكبر مجمع شهده العالم الإسلامي في حياة الرسول عليه الصلاة والسلام في يوم عرفة في حجة الوداع، قال: {اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله}، فأمرنا أن نتقي الله تعالى في النساء وقال: {اتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم} أي بمنزلة الأسرى لأن الأسير إن شاء فكه الذي أسره وإن شاء أبقاه، والمرأة عند زوجها كذلك إن شاء طلقها وإن شاء أبقاها، فهي بمنزلة الأسير عنده فليتق الله فيها. كذلك أيضاً نجد بعض الناس يريد من أولاده أن يقوموا بحقه على التمام لكنه مفرط في حقهم، فيريد من أولاده أن يبروه ويقوموا بحقه، أن يبروه في المال، وفي البدن، وفي كل شيء يكون به البر، لكنه هو مضيع لهؤلاء الأولاد، غير قائم بما يجب عليه نحوهم، نقول هذا مطفف، كما نقول في المسألة الأولى في مسألة الزوج مع زوجته إنه إذا أراد منها أن تقوم بحقه كاملاً وهو يبخس حقها نقول إنه مطفف فهذا الأب الذي أراد من أولاده أن يبروه تمام البر وهو مقصر في حقهم نقول إنك مطفف ونقول له تذكر قول الله تعالى: {ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون}.

٣. قوله تعالى: [ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون] يعني ألا يتيقن هؤلاء ويعلموا علم اليقين؛ لأن الظن هنا بمعنى اليقين، والظن بمعنى اليقين يأتي كثيراً في القرآن مثل قوله تعالى: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون} فقال: {الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم} وهم متيقنون أنهم ملاقوا الله، لكن الظن يستعمل بمعنى اليقين كثيراً في اللغة العربية.

٤. قوله تعالى: [كلا إن كتاب الفجار لفي سجين] {كلا} إذا وردت في القرآن لها معان حسب السياق، قد تكون حرف ردع وزجر، وقد تكون بمعنى حقا، وقد يكون لها معان أخرى يعينها السياق.

٥. الله عز وجل يقرن بين الايمان به والايمان باليوم الأخر دئما؛ لأن الإيمان بالله ابتداء والإيمان باليوم الآخر انتهاء.

٦. قوله تعالى: [معتد أثيم] {معتد} في أفعاله {أثيم} في أقواله وقيل في كسبه أي أن مآله إلى الإثم.

٧. قوله تعالى: [كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون] وفي {بل} سكتة لطيفة عند بعض القراء وعند آخرين لا سكتة فيجوز على هذا أن تقول {كلا بل. ران} ويجوز أن تقول {كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون}.

٨. قوله تعالى: [كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون] أي حقا إنهم عن ربهم لمحجوبون، وذلك في يوم القيامة فإنهم يحجبون عن رؤية الله عز وجل كما حُجبوا عن رؤية شريعته وآياته فرأوا أنها أساطير.

وبهذه الآية استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله عز وجل، ووجه الدلالة ظاهر فإنما ما حجب هؤلاء في حال السخط إلا وقد مكن للأبرار من رؤيته تعالى حال الرضا.

ولو كان الحجب لكل منهم لم يكن لتخصيصه بالفجار فائدة إطلاقا. ورؤية الله عز وجل ثابتة بالكتاب، ومتواتر السنة وإجماع الصحابة والأئمة.

٩. قوله تعالى: [على الأرائك] الأرائك جمع أريكة وهي السرير المزخرف المزين الذي وضع عليه مثل الظل، وهو من أفخر أنواع الأسرة.

١٠. قوله تعالى: [تسنيم] عين رفيعة معنى وحسا، وذلك لأن أنهار الجنة تفجر من الفردوس، والفردوس هو أهل الجنة، وأوسط الجنة، وفوقه عرش الرب عز وجل. والمكان المسنَّم الرفيع والعالي.

١١. قوله تعالى: [عينا يشرب بها] من العلماء من قال (الباء) بمعنى (من) فمعنى {يشرب بها} أي يشرب منها. ومنهم من قال: إن يشرب بمعنى يروى ضُمّنت منعى يروى فمعنى {يشرب بها} أي يروى بها المقربون. وهذا المعنى أو هذا الوجه أحسن من الوجه الذي قبله؛ لأن هذا الوجه يتضمن شيئين يرجحانه وهما:

أولاً: إبقاء حرف الجر على معناه الأصلي.

والثاني: أن الفعل {يشرب} ضُمَّن معنى أعلى من الشرب وهو الرّي، فكم من إنسان يشرب ولا يروى، لكن إذا روي فقد شرب، وعلى هذا فالوجه الثاني أحسن وهو أن يضمّن الفعل {يشرب} معنى يروى.

١٢. قوله تعالى: [وإذا مروا بهم يتغامزون] الفاعل يصح أن يكون إذا مر المؤمنون بالمجرمين، أو إذا مر المجرمون بالمؤمنين، والقاعدة التي ينبغي أن تفهموها في التفسير: أن الآية إذا احتملت معنيين لا ينافي أحدهما الآخر وجب حملها على المعنيين؛ لأن ذلك أعم، فإذا جعلناها للأمرين صار المعنى: أن المجرمين إذا مروا بالمؤمنين وهم جلوس تغامزوا، وإذا مر المؤمنون بالمجرمين وهم جلوس تغامزوا أيضاً فتكون شاملة للحالين: حال مرور المجرمين بالمؤمنين، وحال مرور المؤمنين بالمجرمين.

١٣. قوله تعالى: [هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون] {ثوب} أي جوزي، و{هل} هنا للتقرير أي أن تعالى قد ثوب الكفار وجازاهم جزاء فعلهم في الدنيا.

[سورة الانشقاق]

١. قوله تعالى: [وأذنت لربها] أذنت: بمعنى استمعت وأطاعت أمر ربها عز وجل أن تنشق فانشقت.

٢. قوله تعالى: [وأما من أوتي كتابه وراء ظهره] وفي الآية الأخرى في سورة الحاقة {وأما من أوتي كتابه بشماله} قيل: إن من لا يؤتى كتابه بيمينه سنقسم إلى قسمين: منهم من يؤتى كتابه بالشمال، ومنهم من يؤتى كتابه وراء ظهره، والأقرب والله أعلم أنه يؤتى كتابه بالشمال، ولكن تلوى يده حتى تكون من وراء ظهره، إشارة إلى أنه نبذ كتاب الله وراء ظهره، فيكون الأخذ بالشمال ثم تلوى يده إلى الخلف إشارة إلى أنه قد ولى ظهره كتاب الله عز وجل ولم يبال به، ولم يرفع به رأسا، ولم ير بمخالفته بأسا.

٣. قوله تعالى: [إنه ظن أن لن يحور] أي: ألا يرجع بعد الموت، ولهذا كانوا ينكرون البعث ويقولون لا بعث، ويقولون: من يحيي العظام وهي رميم.

٤. قوله تعالى: [فلا أقسم بالشفق] {لا} هنا جيء بها للتنبيه، ولها نظائر {لا أقسم بهذا البلد} {لا أقسم بيوم القيامة} {فلا أقسم برب المشارق} {فلا أقسم بما تبصرون} وكلها بقول العلماء: إن (لا) فيها للتنبيه، وأن القسم مثبت.

٥. إن قال قائل: لماذا يقسم الله على خبره وهو سبحانه الصادق بلا قسم؟ وكذلك يقسم النبي صلى الله عليه وسلم على خبره وهو صادق بلا قسم ؟

قلنا: إن القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي ومن عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم فصار هذا الأسلوب جاريا على اللسان العربي الذي نزل به القرآن.

٦. قوله تعالى: [لتركبن طبقا عن طبق] أي لتحولن حالا عن حال، وهو يعني أن الأحوال تتغير فيشمل أحوال الزمان، وأحوال المكان، وأحوال الأبدان، وأحوال القلوب.

٧. قوله تعالى: [وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون] أي لا يخضعون لله عز وجل فالسجود هنا معناه الخضوع لله.

استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب سجود التلاوة. وقال: إن الإنسان إذا مر بآية سجدة ولم يسجد كان آثما. والصحيح: أنها ليست بواجبة وإن كان هذا القول أعني القول بالوجوب هو مذهب أبي حنيفة واختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمها الله، ولكن هو قول مرجوح، وذلك أنه ثبت في الصحيح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب الناس يوماً فقرأ سورة النحل فلما وصل آية السجدة نزل من المنبر فسجد، ثم قرأها من الجمعة الثانية فمر بها ولم يسجد فقال رضي الله عنه: إن الله لم يفرض علينا السجود إلا أن نشاء، وكان ذلك بمحضر من الصحابة، ولم يُنكر عليه أحد. وسنته رضي الله عنه من السنن التي أُمرنا باتّباعها، وعلى هذا فالقول الراجح أن سجود التلاوة ليس بواجب، لكنه سنة مؤكدة، فإذا مررت بآية سجدة فاسجد في أي وقت كنت في الصباح، في المساء، في الليل، في النهار، تكبر عند السجود، وإذا رفعت فلا تكبر ولا تسلم هذا إذا سجدت خارج الصلاة، أما إن سجدت في الصلاة فلابد أن تكبر إذا سجدت، وأن تكبر إذا نهضت؛ لأنها لما كانت في الصلاة كان لها حكم السجود في الصلاة.

٨. قوله تعالى: [إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون] {لا} هذه بمعنى لكن فالاستثناء منقطع ولا تصح أن تكون استثناء متصلاً، لأن الذين آمنوا ليسوا من المكذبين في شيء، بل هم مؤمنون مصدقون، وهذا هو الاستثناء المنقطع، أي إذا كان المستثنى ليس من جنس المستثنى منه فهو استثناء منقطع وتقدر (إلا) بـ (لكن) أي لكن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجرٌ غير ممنون. الذين آمنوا بقلوبهم، واستلزم إيمانهم قيامهم بالعمل الصالح، هؤلاء هم الذين ليس لهم عذاب ولا ينتظرون العذاب لهم أجر غير ممنون.

[سورة البروج]

١. قوله تعالى: [والسماء ذات البروج] {ذات البروج} أي صاحبة البروج، والبرج جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم وسميت بروجا لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها، والبروج عند الفلكيين اثني عشر برجا جمعت في قول الناظم:

حملٌ فثور فجوزاء **** فسرطان فأسد سنبلة ميزان

فعقرب قوسٌ فجدي وكـ **** ذا دلو وذي آخرها الحيتان

فهي اثنا عشر برجا، ثلاثة منها للربيع، وثلاثة منها للصيف، وثلاثة للخريف، وثلاثة للشتاء.

٢. قوله تعالى: [وشاهد ومشهود] ذكر علماء التفسير في الشاهد والمشهود عدة أقوال يجمعها أن الله أقسم بكل شاهد وبكل مشهود، والشهود كثيرون منهم محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شهيداً علينا كما قال الله تعالى: {وجئنا بك على هؤلاء شهيدا}، ومنهم نحن هذه الأمة شهداء على الناس {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس}. وأعضاء الإنسان يوم القيامة تشهد عليه بما عمل من خير وشر كما قال تعالى {يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون}، ومنهم الملائكة يشهدون يوم القيامة فكل من شهد بحق فهو داخل في قوله {وشاهد}، وأما {المشهود} فهو يوم القيامة وما يعرض فيه من الأهوال العظيمة كما قال تعالى: {ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود}. فأقسم الله بكل شاهد وبكل مشهود.

٣. قوله تعالى: [قتل أصحاب الأخدود] هذه الجملة جواب القسم {قتل} يعني أهلك، وقيل: القتل هنا بمعنى اللعن وهو الطرد والإبعاد من رحمة الله.

٤. قوله تعالى: [إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد] {الحميد} على وزن فعيل، فيكون بمن محمود فالله سبحانه ول محمود ل كل حال.

ويجوز أن يكون بمعنى أنه هو الحامد فإنه سبحانه وتعال يحمد من يستحق الحمد، يثني على عباده من المرسلين والأنبياء والصالحين، والثناء عليهم حمد لهم.

٥. قوله تعالى: [إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا] قال العلماء: {فتنوا} بمعنى أحرقوا كما قال تعالى: {يوم هم في النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون}

وقيل: فتنوهم أي صدوهم عن دينهم.

والصحيح: أن الآية شاملة للمعنين جميعا على قاعدة: أنه إذا كانت الآية تحتمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر ولا يتضادان فإنها تحمل عليهما جميعا.

٦. شروط التوبة خمسة:

– الإخلاص: لا يكون الحامل للإنسان على التوبة إلا خوف الله ورجاء ثوابه.

– التوبة النصوح: الندم على ما حصل من الذنب.

– الإقلاع عن الذنب: فلا تصح التوبة مع الإصرار على الذنب، لأن التائب هو الراجع.

– العزم على عدم العودة إلى الذنب

– التوبة في وقت تقبل فيه لأنها لا تقبل في حالين: إذا حضرت المذنب الموت – إذا طلعت الشمس من مغربها.

٧. قوله تعالى: [تجري من تحتها الأنهار] قال العلماء: {من تحتها} أي من تحت أشجارها وقصورها وإلا فهي على السطح فوق، ثم هذه الأنهار جاء في الأحاديث أنها لا تحتاج إلى حفر ولا تحتاج إلى بناء أخدود، وفي هذا يقول ابن القيم في النونية:

أنهارها في غير أخدود جرت **** سبحان ممسكها عن الفيضان

الأنهار في المعروف عندنا تحتاج إلى حفر، أو إلى أخدود تمنع من تسرب الماء يمينا وشمالا، لكن في الجنة لا تحتاج إلى أخدود، تجري حيث شاء الإنسان، يعني يوجهها كما شاء بدون حفر، وبدون إقامة أخدود، والأنهار في هذه الآية وفي آيات كثيرة مجملة لكنها فصلت في سورة القتال –سورة محمد– قال: {مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى}.

٨. قوله تعالى: [وهو الغفور الودود] {الغفور} يعني ذا المغفرة، والمغفرة ستر الذنب والعفو عنه فليست المغفرة ستر الذنب فقط بل ستره وعدم المؤاخذة عليه كما جاء في الحديث الصحيح: {إن الله يخلو بعبده المؤمن يوم القيامة ويقرره بذنوبه حتى يقر بها ويعترف، فيقول الله عز وجل: قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم} ويذكر أن بني إسرائيل كانوا إذا أذنب الواحد منهم ذنبا وجده مكتوبا على باب بيته فضيحة وعارا.

{الودود} مأخوذ من الود، والود هو خالص المحبة، ومعنى ودود أنه محبوب وأنه حال، فهو يشمل الوجهين جميعا قال تبارك وتعالى: {يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه}. وهكذا حديث الراية {يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبهُ اللهُ ورسولهُ}، والرجل الذي كان يختم القراءة بسورة الإخلاص فقال النبي صلى الله عليه وسلم: {أخبروه أن الله يحبه} وهنا المحبة علقت بشخص معين، وقد تكون محبة الله بمعينين بأوصافهم مثل: {إن الله يحب المتقين}، {إن الله يحب المحسنين}، {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص}، كذلك يحب الله سبحانه وتعالى الأماكن {أحب البقاع إلى الله مساجد}، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن مكة أحب البقاع إلى الله، هذه محبة متعلقة بالأماكن قالله يُحِب ويُحَب.

٩. قوله تعالى: [هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود] قص الله سبحانه وتعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم من نبأ موسى عليه السلام ما لم يقصه من نبأ غيره، لأن النبي سوف يكون مهاجر إلى المدينة التي بها ثلاث قبائل من اليهود. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم من نبأهم الشيء الكثير من أجل أن يكون على استعداد لمناظرتهم ومجادلتهم بالحقن حتى لا يخفى عليه من أمرهم شيء.

{فرعون} وفرعون ملك مصر. وهل هو علم شخص يسمى باسم فرعون أم وصف لكل من ملك مصر وهو كافر؟ من العلماء من قال: إنه علم شخص أي أنه الذي أرسل إليه موسى عليه السلام هو فرعون وهذا اسمه، ومنهم من قال: إنه علم وصف لكل من ملك مصر كافرا، كما يقال: كسرى لكل من ملك الفرس، وهرقل لكل من ملك الروم، والنجاشي لكل من ملك الحبشة، وما أشبه ذلك.

١٠. فرعون ادعى الربوبية كما قال {ن ربكم الأعلى}، وادعى الألوهية حيمنا قال {ما علمت لكم من إله غيري}.

١١. قوله تعالى: [في لوح محفوظ] قال العلماء {محفوظ} لا يناله أحد، محفوظ عن التغيير والتبديل، والتبديل والتغيير إنما يكون في الكتب الأخرى؛ لأن الكتابة من الله عز وجل أنواع :

– النوع الأول: الكتابة في اللوح المحفوظ وهذه الكتابة لا تبدل ولا تغير، ولهذا سماه الله لوحاً محفوظاً، لا يمكن أن يبدل أو يغير ما فيه.

– النوع الثاني: الكتابة على بني آدم وهم في بطون أمهاتهم، لأن الإنسان في بطن أمه إذا تمّ له أربعة أشهر، بعث الله إليه ملكاً موكلاً بالأرحام، فينفخ فيه الروح بإذن الله، لأن الجسد عبارة عن قطعة من لحم إذا نفخت فيه الروح صار إنسانًا، ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

– النوع الثالث: كتابة حولية كل سنة، وهي الكتابة التي تكون في ليلة القدر، فإن الله سبحانه وتعالى يقدر في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة، قال الله تبارك وتعالى: {فيها يفرق كل أمر حكيم}. فيكتب في هذه الليلة ما يكون في تلك السنة.

– النوع الرابع: كتابة يومية وهي التي تقوم بها الملائكة حيث يكتبون كل ما يعمله الإنسان في ذلك اليوم من قول أو عمل أو اعتقاد، وذلك في الصحف التي بأيدي الملائكة، وهذه الكتابة تكون بعد العمل، والكتابات الثلاث السابقة كلها قبل العمل.

[سورة الانفطار]

١. أحسن ما رأى الشيخ رحمه الله في الكلام على إقسام الله عز وجل بمخلوقاته كتاب (التبيان في أقسام القرآن) لابن القيم رحمه الله. [آمل أن يتحفنا أحد الإخوة بكلام ابن القيم في هذا الباب – إقسام الله جل وعلا بمخلوقاته].

٢. قوله تعالى: [النجم الثاقب] هذا هو الطارق، والنجم هنا يحتمل أن يكون المراب به جميع النجوم فتكون (ال) للجنس، ويحتمل أنه النجم الثاقب، أي: النجم اللامع، قوي اللمعان، لأنه يثقب الظلام بنوره قال تعالى {وعلامات وبالنجم هم يهتدون} وقال تعالى {ولقد زينا المساء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين}.

٣. قوله تعالى: [إن كل نفس لما عليها حافظ] {إن} هنا نافية يعني ما كل نفس، {لما} بمعنى (إلا) يعني ما كل نفس إلا عليها حافظ من الله. ومهمة هذا الحافظ كما قال تعالى {إن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون}.

٤. قوله تعالى: [فلينظر الإنسان مما خلق. خلق من ماء دافق. يخرج من بين الصلب والترائب. إنه على رجعه لقادر] فالذي قدر على أن يخلق الإنسان من هذا الماء الدافق المهين، قادر على أن يعيده يوم القيامة، وهذا من باب الاستدلال بالمحسوس على المنظور المترقب، وهو قياس عقلي.

٥. قوله تعالى: [يوم تبلى السرائر] أي تختبر السرائر، وهي القلوب، فإن الحساب يوم القيامة على ما في القلوب، والحساب في الدنيا على ما في الجوارح، ولهذا عامل النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنافقين معاملة المسلمين حيث كان يُستأذن في قتلهم فيقول: {لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه}، فكان لا يقتلهم وهو يعلم أن فلانًا منافق، وفلانًا منافق، لكن العمل في الدنيا على الظاهر ويوم القيامة على الباطن {يوم تبلى السرائر} أي تختبر وهذا كقوله: {أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور. وحصل ما في الصدور}.

ولهذا يجب علينا يا أخواني يجب علينا العناية بعمل القلب أكثر من العناية بعمل الجوارح، عمل الجوارح علامة ظاهرة، لكن عمل القلب هو الذي عليه المدار، ولهذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن الخوارج يخاطب الصحابة يقول: {يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم –يعني أنهم يجتهدون في الأعمال الظاهرة ولكن قلوبهم خالية والعياذ بالله– لا يتجاوز الإسلام حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية}، قال الحسن البصري رحمه الله: "والله ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صوم، وإنما سبقهم بما وقر في قلبه من الإيمان" والإيمان إذا وقر في القلب حمل الإنسان على العمل، لكن العمل الظاهر قد لا يحمل الإنسان على إصلاح قلبه، فعلينا أيها الأخوة أن نعتني بقلوبنا وإصلاحها وتخليصها من شوائب الشرك والبدع، والحقد والبغضاء، وكراهة ما أنزل الله على رسوله وكراهة الصحابة رضي الله عنهم، وغير ذلك مما يجب تنزيه القلب عنه.

٦. قوله تعالى: [فما له من قوة ولا ناصر] {فما له من قوة} يعني يوم القيامة ما للإنسان من قوة ذاتية، {ولا ناصر} وهي القوة الخارجية، فهو بنفسه لا يستطيع أن يدافع عن نفسه، ولا أحد يستطيع أن يدافع عنه.

٧. قوله تعالى: [والسماء ذات الرجع. والأرض ذات الصدع إنه لقول فصل] والمناسبة بين القسمين –والله أعلم– أن الأول فيه إشارة إلى الطارق الذي هو النجم، والنجم تُرمى به الشياطين الذين يسترقون السمع، وفي رمي الشياطين بذلك حفظ لكتاب الله عز وجل، فصار القسم الأول مناسبته أن فيه الإشارة إلى ما يحفظ به هذا القرآن حال إنزاله، وفي القسم الثاني الإشارة إن أن القرآن حياة، يعني يقال: {والسماء ذات الرجع} الرجع هو المطر، يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض. {والأرض ذات الصدع} الصدع هو الانشقاق يعني التشقق الذي يخرج

النبات منه، فأقسم بالمطر الذي هو سبب خروج النبات، وبالتشقق الذي يخرج منه النبات، وكله إشارة إلى حياة الأرض بعد موتها، والقرآن به حياة القلوب بعد موتها، كما قال الله تبارك وتعالى: {وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا}. فسمى الله القرآن روحاً لأنه تحيا به القلوب.

[سورة الأعلى]

١. الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم على ثلاثة أقسام:

– القسم الأول: أن يقوم الدليل على أنه خاص به فيختص به.

مثاله: قوله تبارك وتعالى: {ألم نشرح لك صدرك. ووضعنا عنك وزرك}، ومثاله أيضاً قوله تعالى: {وأرسلناك للناس رسولاً}.

– القسم الثاني: أن يقوم الدليل على أنه عام فيعم فيه قرينة تدل على ذلك.

مثاله: قوله تعالى: {يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن} فوجه الخطاب أولاً للرسول عليه الصلاة والسلام قال {يا أيها النبي} ولم يقل (يا أيها الذين آمنوا إذا طلقتم) قال: {يا أيها النبي إذا طلقتم}، ولم يقل: (يا أيها النبي إذا طلقت) قال: {يا أيها النبي إذا طلقتم} فدل هذا على أن الخطاب الموجه للرسول عليه الصلاة والسلام موجه له وللأمة.

– القسم الثالث: أن لا يدل دليل على هذا ولا على هذا، فيكون خاصًّا به لفظاً، عامًّا له وللأمة حكماً.

أمثلة القسم الثالث كثيرة جداً يوجه الله الخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام، والمراد الخطاب له لفظاً وللعموم حكماً.

٢. قوله تعالى: {الأعلى} من العلو، وعلو الله عز وجل نوعان:

– علو الصفة فإن أكمل الصفات لله عز وجل قال تعالى: {ولله المثل الأعلى}.

– علو الذات فهو سبحانه وتعالى فوق عباده مستو على عرشه.

٣. قوله تعالى: [فهدى] يشمل الهداية الشرعية، والهداية الكونية.

الهداية الكونية: أن الله هدى كل شيء لما خلق له، قال فرعون لموسى: {فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}. تجد كل مخلوق قد هداه الله تعالى لما يحتاج إليه. فالطفل إذا خرج من بطن أمه وأراد أن يرضع يهديه الله عز وجل إلى هذا الثدي يرتضع منه.

وانظر إلى أدنى الحشرات النمل مثلاً، لا تضع بيوتها إلا في مكان مرتفع من الأرض على ربوة من الأرض تخشى من السيول تدخل بيوتها فتفسدها، أيضاً إذا جاء المطر وكان في جحورها، أو في بيوتها طعام من الحبوب تخرج به إذا طلعت الشمس تنشره لئلا يعفن، وهي قبل أن تذخره تأكل أطراف الحبة لئلا تنبت فتفسد عليهم، هذا الشيء مشاهد مجرب من الذي هداها لذلك؟ هداها الله عز وجل، وهذه هداية كونية: أنه هدى كل مخلوق لما يحتاج إليه.

٤. قوله تعالى: [فذكر إن نفعت الذكرى] يعني ذكر الناس، ذكرهم بآيات الله، ذكرهم بأيام الله، عظهم، {إن نفعت الذكرى} يعني في محل تنفع فيه الذكرى، وعلى هذا فتكون {إن} شرطية والمعنى إن نفعت الذكرى فذكر، وإن لم تنفع فلا تذكر، لأنه لا فائدة من تذكير قوم نعلم أنهم لا ينتفعون، هذا ما قيل في هذه الآية.

وقال بعض العلماء: المعنى ذكر على كل حال، فيكون الشرط هنا ليس المقصود به أنه لا يُذكر إلا إذا نفعت، فالمعنى على هذا القول: ذكر بكل حال، والذكرى سوف تنفع. تنفع المؤمنين، وتنفع المذكِّر أيضاً، فالمذكر منتفع على كل حال، والمذَّكر إن انتفع بها فهو مؤمن، وإن لم ينتفع بها فإن ذلك لا ينقص من أجر المذِّكر شيئاً.

وقال بعض العلماء: إن ظن أن الذكرى تنفع وجبت، وإن ظن أنها لا تنفع فهو مخير إن شاء ذكر وإن شاء لم يذكر.

٥. قوله تعالى: [قد أفلح] {أفلح} مأخوذ من الفلاح، والفلاح كلمة جامعة، وهو: الفوز بالمطلوب، والنجاة من المرهوب.

٦. قوله تعالى: [من تزكى] {تزكى} التزكية لها ثلاث متعلقات:

– الأول: في حق الله وذلك بأن يتزكى من الشرك في فيعبد الله تعلى مخلصا له الدين

– الثاني: في حق الرسول وذلك بأن يتزكى من الابتداع فيعبد الله على مقتضى شريعة النبي صلى الله عليه وسلم في العقيدة، والقول، والعمل.

واتباعه صلى الله عليه وسلم من غير ابتداه لا ينطبق تماما إلا على الطريقة السلفية طريقة أهل السنة والجماعة الذين يؤمنون بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، على الطريقة السلفية الذين لا يبتدعون في العبادات القولة، ولا في العبادات الفعلية شيئا في دين الله.

– الثالث: في حق عامة الناس وذلك بأن يتزكى من الغل والحقد والعداوة والبغضاء، ويفعل كل ما فيه المودة والمحبة ومن ذلك إفشاء السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

٧. قوله تعالى: [وذكر اسم ربه] قال بعض العلماء {وذكر اسم ربه فصلى} يعني الخطيب يوم الجمعة {فصلى} أي صلاة الجمعة، وذلك لأن الله تعالى قال: {يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع}.

٨. قوله تعالى: [بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى] {بل} هنا للإضراب الانتقالي، لأن بل تأتي للإضراب الإبطالي، وتأتي للإضراب الانتقالي، أي أنه سبحانه وتعالى انتقل ليبين حال الإنسان أنه مؤثر للحياة الدنيا لأنها عاجلة.

[سورة الغاشية]

١. قوله تعالى: [هل أتاك حديث الغاشية] يجوز أن يكون الخطاب موجه للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده وأمته تبعاً له، ويجوز أن يكون عاماً لكل من يتأتى خطابه.

والاستفهام هنا للتشويق فهو كقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم}، ويجوز أن يكون للتعظيم لعظم هذا الحديث عن الغاشية. {حديث الغاشية} أي نبؤها وخبرها، و{الغاشية} هي الداهية العظيمة التي تغشى الناس، وهي يوم القيامة.

٢. قوله تعالى: [جنة عالية] العلو ضد السفول فهي فوق السماوات السبع، ومن المعلوم أنه في يوم القيامة تزول السماوات السبع الأرضون ولا يبقى إلا الجنة والنار فهي عالية وأعلاها ووسطها الفردوس الذي فوقه عرش الرب جل وعلا.

٣. قوله تعالى: [وإلى الأرض كيف سطحت] جعلها الله سطحا ممهدا للخلق، وقد استدل بعض العلماء بهذه الآية على أن الأرض ليست كروية بل سطح ممتد، لكن هذا الاستدلال فيه نظر لأن هناك آيات تدل على أن الأرض كروية، والواقع شاهد بذلك يقول الله عز وجل: {يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل} والتكوير التدوير، ومعلوم أن الليل والنهار يتعاقبان على الأرض، فإذا كانا مكورين لزم أن تكون الأرض مكورة، وقال الله تبارك وتعالى: {إذا السماء انشقت. وأذنت لربها وحقت. وإذا الأرض مدت. وألقت ما فيها وتخلت}. فقال: {وإذا الأرض مدت} وقد جاء في الحديث أنها يوم القيامة تمد مد الأديم أي مد الجلد حتى لا يكون فيها جبال، ولا أودية، ولا أشجار، ولا بناء، يذرها الرب عز وجل قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، فقوله: {إذا السماء انشقت} والسماء لا تنشق إلا يوم القيامة وهي الآن غير منشقة إذاً قوله {إذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت} يعني يوم القيامة فهي إذاً الآن غير ممدودة، إذاً مكورة، والواقع المحسوس المتيقن الآن أنها كروية لا شك، والدليل على هذا أنك لو سرت بخط مستقيم من هنا من المملكة متجهاً غرباً لأتيت من ناحية الشرق، تدور على الأرض ثم تأتي إلى النقطة التي انطلقت منها، وكذلك بالعكس لو سرت متجهاً نحو المشرق وجدتك راجعاً إلى النقطة التي قمت منها من نحو المغرب، إذاً فهي الآن لا شك فيه أنها كروية.

فإذا قال الإنسان: إذا كانت كما ذكرت كروية فكيف تثبت المياه البحار عليها وهي كروية؟

نقول في الجواب عن ذلك: إن الذي أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه يمسك البحار أن تفيض على الناس فتغرقهم، والله على كل شيء قدير، قال بعض أهل العلم: {وإذا البحار سجرت} أي حبست ومنعت من أن تفيض على الناس كالشيء الذي يُسجر (يربط)، وعلى كل حال القدرة الإلهية لا يمكن لنا أن نعارض فيها. نقول قدرة الله عز وجل أمسكت هذه البحار أن تفيض على أهل الأرض فتغرقهم، وإن كانت الأرض كروية.

[سورة الفجر]

١. قوله تعالى: [وليال عشر] قيل المراد بـ{ليال عشر} عشر ذي الحجة، وأطلق على الأيام على ليالي، لأن اللغة العربية واسعة، قد تطلق الليالي ويراد بها الأيام، والأيام يراد بها الليالي.

وقيل المراد بـ{ليال عشر} ليال العشر الأخيرة من رمضان.

أما على الأول: الذين يقولون المراد بالليال العشر عشر ذي الحجة، فلأن عشر ذي الحجة أيام فاضلة قال فيها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: {ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من هذه الأيام العشر} قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: {ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء}.

وأما الذين قالوا: إن المراد بالليال العشر هي ليال عشر رمضان الأخيرة، فقالوا: إن الأصل في الليالي أنها الليالي وما هي الأيام، وقالوا: إن ليال العشر الأخيرة من رمضان فيها ليلة القدر التي قال الله عنها {خير من ألف شهر}، وقال: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة. فيها يفرق كل أمر حكيم}، وهذا القول أرجح من القول الأول، وإن كان القول الأول هو قول الجمهور، لكن اللفظ لا يسعف قول الجمهور، وإنما يرجح القول الثاني أنها الليالي العشر الأواخر من رمضان، وأقسم الله بها لشرفها، ولأن فيها ليلة القدر، ولأن المسلمين يختمون بها شهر رمضان الذي هو وقت فريضة من فرائض الإسلام وأركان الإسلام، فلذلك أقسم الله بهذه الليالي.

٢. قوله تعالى: [والشفع والوتر] قيل: كل ما كان مخلوقا من شفع ووتر، وكل ما كان مشروعا من شفع ووتر وقيل: المراد بالشفع الخلق كلهم، والمراد بالوتر الله عز وجل.

ولا منافاة بين المعنيين فتحمل الآية عليهما معا.

٣. قوله تعالى: [التي لم يخلق مثلها في البلد] هذا دليل على ن الدمي قد يوصف بالخلق فيقال خلق كذا، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في المصورين (يقال لهم أحيوا ما خلقتم)، لكن الخلق الذي ينسب للمخلوق ليس هو الخلق المنسوب إلى الله.

الخلق المنسوب إلى الله إيجاد بعد إعدام وتحويل وتغيير، أما الخلق المنسوب لغير الله فهو مجرد تحويل، تغيير وتحويل من صفة إلى صفة.

٤. قوله تعالى: [وفرعون] فرعون هو الذي أرسل الله إليه موسى عليه الصلاة والسلام، وكان قد استذل بني إسرائيل في مصر، يذبح أبنائهم ويستحيي نسائهم، وقد اختلف العلماء في السبب الذي أدّى به إلى هذه الفعلة القبيحة، لماذا يقتل الأبناء ويبقي النساء؟!

فقال بعض العلماء: إن كهنته قالوا له إنه سيولد في بني إسرائيل رجل يكون هلاكك على يده فصار يقتل الأبناء ويستبقي النساء.

ومن العلماء من قال: إنه فعل ذلك من أجل أن يضعف بني إسرائيل؛ لأن الأمة إذا قُتلت رجالها واستبقيت نسائها ذلت بلا شك.

فالأول تعليل أهل الأثر، والثاني تعليل أهل النظر –أهل العقل– ولا يبعد أن يكون الأمران جميعاً قد صارا علة لهذا الفعل.

٥. قوله تعالى: [بل لا تكرمون اليتيم] يشمل الفقير من اليتامى، والغني من اليتامى، لأنه ينبغي الإحسان إليه وإكرامه لأنه انكسر قلبه بفقد أبيه ومن يقوم بمصالحه، فأوصى الله تعالى به حتى يزول هذا الكسر الذي أصابه.

[سورة البلد]

١. قوله تعالى: [لا أقسم بهذا البلد] {لا} للاستفتاح– أي: استفتاح الكلام وتوكيده، وليست نافية، لأن المراد إثبات القسم، يعني أنا أقسم بهذا البلد لكن (لا) هذه تأتي هنا للتنبيه والتأكيد.

{أقسم} القسم تأكيد الشيء بذكر معظم على وجه مخصوص، فكل شيء محلوف به لابد أن يكون معظما لدى الحالف، وقد لا يكون معظما في حد ذاته. فمثلاً الذين يحلفون باللات والعزّى هي معظمة عندهم، لكن هي في الواقع ليست عظيمة ولا معظمة. فالحلف، أو القسم، أو اليمين المعنى واحد، هي تأكيد الشيء بذكر معظم عند الحالف على صفة مخصوصة.

٢. قوله تعالى: [وأنت حل بهذا البلد] قيل المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه، لأن حلول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلّم في مكة يزيدها شرفاً إلى شرفها.

وقيل المعنى: وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام الله تعالى بمكة حال كونها حلاً للرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك عام الفتح؛ لأن مكة عام الفتح أُحلت للرسول عليه الصلاة والسلام ولم تحل لأحد قبله، ولا تحل بعد ذلك لأحد، كما قال عليه الصلاة والسلام: (وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس)، فيكون إقسام الله تعالى بهذا البلد مقيداً بما إذا كانت حلاً للرسول صلى الله عليه وسلّم، عام الفتح.

٣. قوله تعالى: [لقد خلقنا الإنسان في كبد] اللام هنا واقعة في جواب القسم، لتزيد الجملة تأكيداً، و (قد) تزيد الجملة تأكيداً أيضاً فتكون جملة {لقد خلقنا الإنسان} مؤكدة بثلاثة مؤكدات، وهي: القسم، واللام، وقد.

٤. قوله تعالى: [لقد خلقنا الإنسان في كبد] فيها معنيان:

المعنى الأول: في استقامة، يعني أنه خلق على أكمل وجه في الخِلقة.

وقيل: المراد بـ{كبد} مكابدة الأشياء ومعاناتها، وأن الإنسان يعاني المشقة في أمور الدنيا، في طلب الرزق، في إصلاح الحرث، إلى غير ذلك. ويعاني أيضاً معاناة أشد مع نفسه ومجاهدتها على طاعة الله، واجتناب معاصي الله، وهذا هو الجهاد الذي أشق من معاناة طلب الرزق، ولاسيما إذا ابتلي الإنسان ببيئة منحرفة وصار بينهم غريباً، فإنه سيجد المشقة في معاناة نفسه، وفي معاناة الناس أيضاً.

والآية تشمل المعنيين لأنه لا تعارض بينها.

٥. قوله تعالى: [وهديناه النجدين] قيل: أي بينا له طريق الخير، وطريق الشر.

القول الثاني: {هديناه النجدين} دللناه على ما به غذاؤه وهو الثديان؛ فإنهما نجدان لارتفاعهما فوق الصدر، فهداه الله تعالى وهو رضيع لا يعرف.

٦. قوله تعالى: [فلا اقتحم العقبة] الاقتحام هو التجاوز بمشقة.

٧. قوله تعالى: [فك رقبة] هي خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: (هي فك رقبة) وفك الرقبة له معنيان:

– المعنى الأول: فكها من الرق، بحيث يعتق الإنسان العبيد المملوكين سواء كانوا في ملكه فيعتقهم، أو كانوا في ملك غيره فيشتريهم ويعتقهم.

– المعنى الثاني: فك رقبة من الأسر، فإن فكاك الأسير من أفضل الأعمال إلى الله عز وجل. والأسير ربما لا يفكه العدو إلا بفدية مالية، وربما تكون هذه الفدية فدية باهظة كثيرة لا يقتحمها إلا من كان عنده إيمان بالله عز وجل بأن يخلف عليه ما أنفق، وأن يثيبه على ما تصدق.

٨. قوله تعالى: [والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشئمة] {هم}: الضمير هنا جاء للتوكيد، ولو قيل في غير القرآن: والذين كفروا بآياتنا أصحاب المشئمة لصح، لكن هذا من باب التوكيد.

[سورة الشمس]

١. قوله تعالى: [والقمر إذا تلاها] قيل: إذا تلاها في السير.

وقيل: إذا تلاها في الإضاءة.

وتحمل الآية على المعنيين لأنه لا تعارض بينهما.

٢. قوله تعالى: [والسماء وما بناها] قال المفسرون: إن {ما} هنا مصدرية أي: والسماء وبنائها.

٣. قوله تعالى: [فجورها وتقواها] الفجور هو ما يقابل التقوى، والتقوى طاعة الله، فالفجور معصية الله، فكل عاص فهو فاجر. وإن كان الفاجر خصَّ عرفاً بأنه من ليس بعفيف، لكن هو شرعاً يعم كل من خرج عن طاعة الله كما قال تعالى: {كلا إن كتاب الفجار لفي سجين} والمراد الكفار. وإلهامها تقواها هو الموافق للفطرة؛ لأن الفجور خارج عن الفطرة، لكن قد يلهمه الله بعض النفوس لانحرافها لقوله تعالى: {فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم}. والله تعالى لا يظلم أحدا، لكن من علم منه أنه لا يريد الحق أزاغ قلبه.

٤. قوله تعالى: [كذبت ثمود بطغواها] أي بطغيانها وعتوها، والباء هنا للسببية، أي: بسبب كونها طاغية كذبت الرسول.

٥. قوله تعالى: [فدمدم عليهم ربهم] أطبق عليهم فأهلكهم كما تقول: دمدمت البئر: أي أطبقت عليها التراب.

[سورة الليل]

١. قوله تعالى: [وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى . وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى . وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالأنثَى . إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى] الله جل وعلا أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صالح وسيء، فتناسب المقسم به والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن. فالمعنى اختلاف الليل والنهار والذكر والأنثى أمر ظاهر لا يخفى، فكذلك أعمال العباد متباينة متفاوتة، منها الصالح، ومنها الفاسد، ومنها ما يخلط صالحاً وفاسداً، كل ذلك بتقدير الله عز وجل، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

٢. قوله تعالى [فسنيسره لليسرى] السين: هنا للتحقيق أي: أن من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسييسره الله عز وجل لليسرى في أموره كلها، في أمور دينه ودنياه.

٣. قوله تعالى: [وإن لنا للآخرة والأولى] يعني: لنا الآخرة والأولى. الأولى متقدمة على الآخرة في الزمن، لكنه في هذه الآية أخرها لفائدتين:

– الفائدة الأولى: معنوية.

– الفائدة الثانية" لفظية.

أما المعنوية فلأن الآخرة أهم من الدنيا، ولأن الآخرة يظهر فيها ملك الله تعالى تماما.

أما الفائدة اللفظية: فهي مراعات الفواصل يعني: أواخر الآيات كلها آخرها ألف.

٤. قوله تعالى: [تلظى] تشتعل

٥. قوله تعالى: [الذي كذب وتولى] التكذيب في مقابل الخبر، والتوالي في مقابل الأمر والنهي.

[سورة الضحى]

١. قوله تعالى: [ألم يجدك يتيما فآوى] والاستفهام هنا للتقرير، يعني قد وجدك الله تعالى يتيماً فآواك.

وقوله: {يتيماً فآوى} وجاء التعبير –والله أعلم– بـ{فآواك} لسبب لفظي، وسبب معنوي. أما السبب اللفظي: فلأجل أن تتوافق رؤوس الآيات من أول السورة، وأما السبب المعنوي: لو كان التعبير (فآواك) اختص الإيواء به صلى الله عليه وعلى آله وسلم والأمر أوسع من ذلك، فإن الله تعالى آواه، وآوى به، آوى به المؤمنين فنصرهم وأيدهم، ودفع عنهم بل دافع عنهم سبحانه وتعالى.

٢. قوله تعالى: [وأما السائل فلا تنهر] أول ما يدخل في السائل، السائل عن الشريعة، عن العلم، وربما يدخل في السائل عن المال، وهذا عموم مخصوص فيما إذا اقتضت المصلحة أن ينهر فلا بأس.

[سورة الشرح]

١. قوله تعالى: [ألم نشرح لك صدرك] الاستفهام هنا تقريري، واستفهام التقرير يرد في القرآن كثيرا، ويقدر الفعل بفعل ماض مقرون بقد؛ يقدر بأن المعنى قد شرحنا لك صدرك.

٢. قوله تعالى: [ووضعنا عنك وزرك] والمعنى أن الله تعالى غفر للنبي صلى الله عليه وسلّم وزره وخطيئته حتى بقي مغفوراً له، قال الله تبارك وتعالى: {إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر}، وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يقوم الله ويطيل القيام: كيف تفعل هذا وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فأقر أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، لكن قال: "أفلا أكون عبدا شكورا". وهذا من خصائص الرسول صلى الله عليه وسلم.

فإن قال قائل: هذه الآية وما سقناه شاهداً لها يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلّم قد يذنب فهل النبي يذنب؟

فالجواب: نعم، ولا يمكن أن نرد النصوص لمجرد أن نستبعد وقوع الذنب منه صلى الله عليه وآله وسلم، ونحن لا نقول الشأن ألا يذنب الإنسان بل الشأن أن يغفر للإنسان، هذا هو المهم أن يغفر له، أما أن لا يقع منه الذنب فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: " كل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون"، لابد من خطيئة لكن هناك أشياء لا يمكن أن تقع من الأنبياء مثل الكذب والخيانة، فإن هذا لا يمكن أن يقع منهم إطلاقاً، لأن هذا لو فرض وقوعه لكان طعناً في رسالتهم وهذا شيء مستحيل، وسفاسف الأخلاق من الزنا وشبهه هذا أيضاً ممتنع، لأنه ينافي أصل الرسالة، فالرسالة إنما وجدت لتتميم مكارم الأخلاق كما قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

٣. جاء في بعض الآثار أن المؤمن إذا أذنب ذنبا صار عنده كالجبل فوق رأسه، وأن المنافق إذا أذنب ذنبا صار عنده كذباب وقع على أنفه.

٤. قوله تعالى: [فإن نع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا] قال ابن عباس عند هذه الآية: "لن يغلب عسٌر يسرين"، وتوجيه كلامه –رضي الله عنه– مع أن العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين.

قال أهل البلاغة: توجيه كلامه أن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة: {فإن مع العسر يسراً . إن مع العسر يسراً} العسر الأول أعيد في الثانية بأل، فأل هنا للعهد الذكري، وأما يسر فإنه لم يأت معرفاً بل جاء منكراً، والقاعدة: إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول، لأن الثاني نكرة فهو غير الأول، إذاً في الآيتين الكريمتين يسران وفيهما عسر واحد، لأن العسر كرر مرتين بصيغة التعريف.

[سورة التين]

١. قوله تعالى: [ثم رددناه أسفل سافلين] كلما ازداد السن في الإنسان تغير إلى أردأ في القوة الجسدية، وفي الهيئة الجسدية، وفي نضارة الوجه وغير ذلك، وإذا قلنا إن أحسن تقويم تشمل حتى الفطرة التي جبل الله الخلق عليها، والعبادة التي تترتب أو تنبني على هذه الفطرة، فإن هذا إشارة إلى أن من الناس من تعود به حاله –والعياذ بالله– إلى أن يكون أسفل سافلين بعد أن كان في الأعلى والقمة من الإيمان والعلم، والآية تشمل المعنيين جميعاً.

٢. قوله تعالى: [فلهم أجر غير ممنون] غير مقطوع ولا ممنون به أيضا.

[سورة العلق]

١. قوله تعالى: [الذي خلق] خلق كل شيء، وحذف المفعول إشارة للعموم؛ لأن حذف المفعول يفيد العموم، إذ لو ذكر المفعول لتقيد الفعل به.

٢. قوله تعالى: [خلق الإنسان من علق] قد بيّن الله عز وجل أنه خلق الإنسان من علق، ولكنه يتطور، وبيّن في آيات أخرى أنه خلق الإنسان من تراب، وفي آيات أخرى خلقه من طين، وفي آيات أخرى من صلصال كالفخار، وفي آيات أخرى من ماء دافق، وفي آيات أخرى من ماء مهين، وفي هذه الآية من علق فهل في هذا تناقض؟

الجواب: لا، ولا يمكن أن يكون في كلام الله تعالى، أو ما صح عن رسوله صلى الله عليه وسلّم شيء من التناقض أبداً، فإن الله يقول: {ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}. لكنه سبحانه وتعالى يذكر أحياناً مبدأ الخلق من وجه، ومبدأ الخلق من وجه آخر، فخلقه من تراب؛ لأن أول ما خلق الإنسان من التراب ثم صب عليه الماء فكان طيناً ثم استمر مدة فكان حمئاً مسنوناً، ثم طالت مدته فكان صلصالاً، يعني إذا ضربته بيدك تسمع له صلصلة كالفخار، ثم خلقه عز وجل لحماً، وعظماً، وعصباً إلى آخره، هذا ابتداء الخلق المتعلق بآدم. والخلق الآخر من بنيه أول منشئهم من نطفة، وهي الماء المهين وهي الماء الدافق، هذه النطفة تبقى في الرحم أربعين يوماً، ثم تتحول شيئاً فشيئاً وبتمام الأربعين تتقلب بالتطور والتدريج حتى تكون دماً علقة، ثم تبدأ بالنمو والتخونة وتتطور شيئاً فشيئاً، فإذا تمت ثمانين يوماً انتقلت إلى مضغة –قطعة من لحم بقدر ما يمضغه الإنسان– وتبقى كذلك أربعين يوماً فهذه مائة وعشرون يوماً، وهي بالأشهر، أربعة أشهر، بعد أربعة أشهر يبعث الله إليه الملك الموكل بالأرحام، فينفخ فيه الروح، فتدخل الروح في الجسد بإذن الله عز وجل، والروح لا نستطيع أن نعرف كنهها وحقيقتها ومادتها، أما الجسد فأصله من التراب، ثم في أرحام النساء من النطفة، لكن الروح لا نعرف من أي جوهر هي؟ ولا من أي مادة {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً}. فينفخ الملك الروح في هذا الجنين فيبدأ يتحرك، لأن نماءه الأول كنماء الأشجار بدون إحساس، بعد أن تنفخ فيه الروح يكون آدمياً يتحرك، ولهذا إذا سقط الحمل من البطن قبل أربعة أشهر دفن في أي مكان من الأرض، بدون تغسيل، ولا تكفين، ولا صلاة عليه، ولا يبعث؛ لأنه ليس آدميًا، وبعد أربعة أشهر إذا سقط يجب أن يغسل، ويكفن، ويصلى عليه، ويدفن في المقابر؛ لأنه صار إنساناً، ويسمى أيضاً؛ لأنه يوم القيامة سيدعى باسمه، ويعق عنه، لكن العقيقة عنه ليست في التأكيد كالعقيقة عمن بلغ سبعة أيام بعد خروجه، على كل حال هذا الجنين في بطن أمه يتطور حتى يكون بشراً، ثم يأذن الله عز وجل له بعد المدة التي أكثر ما تكون عادة تسعة أشهر فيخرج إلى الدنيا. وبهذه المناسبة أودّ أن أبيّن أن للإنسان أربع دور:

– الدار الأولى: في بطن أمه.

– الدار الثانية: في الدنيا.

– الدار الثالثة: في البرزخ.

– الدار الرابعة: في الجنة أو النار وهي المنتهى.

٣. قوله تعالى: [اقرأ وربك الأكرم] {اقرأ} تكرار للأولى لكن هل هي توكيد أو هي تأسيس؟ الصحيح أنها تأسيس وأن الأولى {اقرأ باسم ربك الذي خلق} قرنت بما يتعلق بالربوبية، و{اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم} قرنت بما يتعلق بالشرع، فالأولى بما يتعلق بالقدر، والثانية بما يتعلق بالشرع، لأن التعليم بالقلم أكثر ما يعتمد الشرع عليه، إذ أن الشرعي كتب ويحفظ، والقرآن يكتب ويحفظ، والسمة تكتب وتحفظ، وكلام العلماء يكتب ويحفظ، فلهذا أعادها الله مرة ثانية.

٤. قوله تعالى: [كلا إن الإنسان ليطغى] {كلا} بمعنى حقا.

٥. قوله تعالى: [إن إلى ربك الرجعى] فيها تهديد لهذا الإنسان الذي طغى حين رأى نفسه مستغنياً عن ربه، وفيها أيضاً ما هو أشمل وأعم وهو أن المرجع إلى الله تعالى في كل الأمور الشرعية والكونية.

٦. قوله تعالى: [كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية] هذه بمعنى حقًّا، ويحتمل أن تكون للردع، أي لردعه عن فعله السيئ الذي كان يقوم به تجاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

٧. قوله تعالى: [لنسفعا بالناصية] جملة {لنسفعن} جواب لقسم مقدر والتقدير: والله لئن لم ينته لنسفعا بالناصية، وحذف جواب الشرط وبقي جواب القسم، لأن هذه هي القاعدة في اللغة العربية أنه إذا اجتمع قسم وشرط فإنه يحذف جواب المتأخر، قال ابن مالك في ألفيته:

واحذف لدى اجتماع شرط وقسم **** جواب ما أخرت فهو ملتزم

وهنا المتأخر هو الشرط {لئن} والقسم مقدر قبله إذ تقديره: والله لئن لم ينته لنسفعن، ومعنى {لنسفعا} أي لنأخذن بشدة، و{الناصية}: مقدم الرأس و"ال" فيها أي: في الناصية للعهد الذهني، والمراد بالناصية هنا ناصية أبي جهل الذي توعد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على صلاته ونهاه عنها.

٨. قوله تعالى: [كاذبة خاطئة] {خاطئة} أي مرتكبة للخطأ عمداً، وليعلم أن هناك فرقاً بين خاطئ ومخطئ، الخاطئ من ارتكب الخطأ عمداً، والمخطئ من ارتكبه جهلاً، والثاني معذور، والأول غير معذور، قال الله تبارك وتعالى: {لا يأكله إلا الخاطئون}. أي المذنبون ذنباً عن عمد، وقال تعالى: {ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا}. فقال الله: "قد فعلت"، ومثل ذلك القاسط والمقسط، القاسط هو الجائر، والمقسط هو العادل، قال الله تعالى: {وأقسطوا إن الله يحب المقسطين}. وقال تعالى: {وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً}.

٩. قوله تعالى: [سندع الزبانية] حذفت واو {سندع} لالتقاء الساكنين، لأن الواو ساكنة والهمزة همزة الوصل ساكنة، وإذا التقى ساكنان فإنه إن كان الحرف صحيحاً كسر، وإن كان غير صحيح حذف، قال ابن مالك رحمه الله في ألفيته:

إن ساكنان التقيا اكسر ما سبق **** وإن يكن ليناً فحذفه استحق

يعني إذا التقى ساكنان إن كان الحرف الأول صحيحاً ليس من حروف العلة كسر مثل قوله تعالى: {لم يكن الذين كفروا} وأصلها {لم يكنْ} لأن لم إذا دخلت على الفعل جزمته كما في قوله تعالى: {ولم يكن له كفواً أحد} لكن هنا التقى ساكنان، وكان الأول حرفاً صحيحاً فكسر. أما إذا كان الأول حرف لين، يعني حرف من حروف العلة فإنه يحذف كما في هذه الآية {سندع الزبانية}.

[سورة القدر]

١. قوله تعالى: [إنا أنزلناه] الله سبحانه وتعالى يذكر نفسه أحياناً بصيغة العظمة مثل هذه الآية الكريمة {إنا أنزلناه في ليلة القدر} ومثل قوله تعالى {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}. ومثل قوله تعالى {إنا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين}. وأحياناً يذكر نفسه بصيغة الواحد مثل {إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري}. وذلك لأنه واحد عظيم، فباعتبار الصفة يأتي ضمير العظمة، وباعتبار الوحدانية يأتي ضمير الواحد.

٢. قوله تعالى: [في ليلة القدر] من العلماء من قال: القدر هو الشرف كما يقال (فلان ذو قدر عظيم، أو ذو قدر كبير)، أي ذو شرف كبير، ومن العلماء من قال: المراد بالقدر التقدير، لأنه يقدر فيها ما يكون في السنة لقول الله تعالى: {إنا أنزلناه في ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم}. أي يفصل ويبين، والصحيح أنه شامل للمعنيين.

٣. قوله تعالى: [تنزل الملائكة والروح فيها] {الروح} هو جبريل عليه السلام خصه الله بالذكر لشرفه وفضله.

[سورة البينة]

١. قوله تعالى: [إن الذين كفروا من أهل الكتاب] {من} هنا بينا للإبهام؛ إبهام الاسم الموصول في قوله:{إن الذين كفروا} وعلى هذا فيقتضي أن أهل الكتاب كفار وهم (اليهود والنصارى).

٢. قوله تعالى: [جهنم] اسم من أسماء النار مأخوذ من الجُهْمَة، وقيل أنه اسم أعجمي عربته العرب.

٣. قوله تعالى: [البرية] الخليقة.

٤. قوله تعالى: [جنات عدن] العدن بمعنى الإقامة في المكان وعدم النزوح عنه.

٥. قوله تعالى:[تجري من تحتها الأنهار] {من تحتها} قال العلماء: من تحت قصورها وأشجارها وإلا فهو على سطحها وليس أسفل.

[سورة الزلزلة]

١. قوله تعالى: [فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شًّرا يره] {مثقال ذرة} يعني وزن ذرة، والمراد بالذرة: صغار النمل كما هو معروف، وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم كما ادعاه بعضهم، لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله عز وجل لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون.

{مثقال ذرة} يفيد أن الذي يوزن هو الأعمال، وهذه المسألة اختلف فيها أهل العلم:

فمن العلماء من قال: إن الذي يوزن العمل.

ومنهم من قال: إن الذي يوزن صحائف الأعمال.

ومنهم من قال: إن الذي يوزن هو العامل نفسه.

ولكل دليل، أما من قال: إن الذي يوزن هو العمل فاستدل بهذه الآية {فمن يعمل مثقال ذرة} لأن تقدير الآية فمن يعمل عملاً مثقال ذرة، واستدلوا أيضاً بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم".

لكن يشكل على هذا أن العمل ليس جسماً يمكن أن يوضع في الميزان بل العمل عمل انتهى وانقضى.

ولهذا يجاب عن هذا بأن يقال:

أولا: على المرء أن يصدق بما أخبر الله به ورسوله من أمور الغيب، وإن كان عقله قد يحار فيه، ويتعجب ويقول كيف يكون هذا؟ فعليه التصديق لأن قدرة الله تعالى فوق ما نتصور، فالواجب على المسلم أن يسلم ويستسلم ولا يقول كيف؟ لأن أمور الغيب فوق ما يتصور.

ثانياً: أن الله تعالى يجعل هذه الأعمال أجساماً توضع في الميزان وتثقل وتخف، والله تعالى قادر على أن يجعل الأمور المعنوية أجساماً، كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلّم في أن الموت يؤتى به على صورة كبش ويوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل الجنة فيشرئبون ويطلعون، ويقال: يا أهل النار فيشرئبون ويطلعون، فيقال لهم: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، مع أنه في صورة كبش والموت (معنى) ليس جسماً ولكن الله تعالى يجعله جسماً يوم القيامة، فيقولون: هذا الموت فيذبح أمامهم ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، وبهذا يزول الإشكال الوارد على هذا القول.

أما من قال: إن الذي يوزن هو صحائف الأعمال فاستدلوا بحديث صاحب البطاقة الذي يؤتى يوم القيامة به، ويقال: انظر إلى عملك فتمد له سجلات مكتوب فيها العمل السيء، سجلات عظيمة، فإذا رأى أنه قد هلك أتي ببطاقة صغيرة فيها لا إله إلا الله فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فيقال له: إنك لا تُظلم شيئاً، ثم توزن البطاقة في كفة، والسجلات في كفة، فترجح بهن البطاقة وهي لا إله إلا الله، قالوا فهذا دليل على أن الذي يوزن هو صحائف الأعمال.

وأما الذين قالوا: إن الذي يوزن هو العامل نفسه فاستدلوا بحديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه كان ذات يوم مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهبت ريح شديدة، فقام عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فجعلت الريح تكفئه؛ لأنه نحيف القدمين والساقين، فجعل الناس يضحكون، فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: "مما تضحكون؟ أو مما تعجبون؟ والذي نفسي بيده إن ساقيه في الميزان أثقل من أحد" وهذا يدل على أن الذي يوزن هو العامل.

فيقال: نأخذ بالقول الأول: أن الذي يوزن العمل، ولكن ربما يكون بعض الناس توزن صحائف أعماله، وبعض الناس يوزن هو بنفسه.

فإن قال قائل: على هذا القول أن الذي يوزن هو العامل، هل ينبني هذا على أجسام الناس في الدنيا وأن صاحب الجسم الكبير العظيم يثقل ميزانه يوم القيامة؟

فالجواب: لا ينبني على أجسام الدنيا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنه ليأتي بالرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"، وقال: اقرؤوا {فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا}. وهذا عبدالله بن مسعود يقول النبي عليه الصلاة والسلام: "إن ساقيه في الميزان أثقل من أحد"، فالعبرة، العبرة بثقل الجسم وثقله يوم القيامة بما كان معه من أعمال صالحة، يقول عز وجل: {فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره. ومن يعمل مثقال ذرة شًّرا يره}.

[سورة العاديات]

١. قوله تعالى: [والعاديات ضبحا] هذا قسم، والعاديات صفة لموصوف محذوف، والمراد فيه قولان للمفسرين:

فمنهم من قال: إن الموصوف هي الإبل، والتقدير (والإبل العاديات) ويعني بها الإبل التي تعدوا من عرفة إلى مزدلفة، ثم إلى منى، وذلك في مناسك الحج، واستدلوا لهذا بأن هذه السورة مكية، وأنه ليس في مكة جهاد على الخيل حتى يقسم بها.

أما القول الثاني لجمهور المفسرين وهو الصحيح فإن الموصوف هو الخيل والتقدير (والخيل العاديات) والخيل العاديات معلومة للعرب حتى قبل مشروعية الجهاد، هناك خيل تعدو على أعدائها سواء بحق أو بغير حق فيما قبل الإسلام، أما بعد الإسلام فالخيل تعدوا على أعدائها بحق.

وقوله تعالى: {ضبحا} الضبح ما يسمع من أجواف الخيل حين تعدو بسرعة، يكون لها صوت يخرج من صدورها، وهذا يدل على قوة سعيها وشدتها.

٢. قوله تعالى: [إن الإنسان لربه لكنود] {لكنود} أي كفور لنعمة الله عز وجل.

٣. قوله تعالى: [وإنه على ذلك لشهيد] {إنه} الضمير قيل: يعود على الله، أي أن الله تعالى يشهد على العبد بأنه كفور لنعمة الله.

وقيل: إنه عائد على الإنسان نفسه، أي أن الإنسان يشهد على نفسه بكفر نعمة الله عز وجل.

والصواب أن الآية شاملة لهذا وهذا.

٤. قوله تعالى: [وإنه لحب الخير لشديد] {وإنه} أي الإنسان، {الخير} هو المال كما قال الله تعالى {كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية} أي: إن ترك مالا كثيرا. والإنسان حبه للمال أمر ظاهر، قال الله تعالى: {وتحبون المال حبا جما}. مطلق الحب ثابت لكل أحد، لكن الشدة ليست لكل أحد.

[سورة القارعة]

١. قوله تعالى: [يوم يكون الناس كالفراش المبثوث] قال العلماء: الفراش هو هذه الطيور الصغيرة التي تتزاحم عند وجود النار في الليل وهي ضعيفة وتكاد تمشي بدون هدي، وتتراكم وربما لطيشها تقع في النار وهي لا تدري، فهم يشبهون الفراش في ضعفه وحيرته وتراكمه وسيره إلى غير هدى.

٢. قوله تعالى: [فهو في عِيشة] العِيشة مأخوذة من العيش وهو الحياة، يقال: عاش الرجل زمنا طويلا، أي بقي وحيي زمنا طويلا، والعِيشة هنا على وزن فعلة فهي هيئة وليست مصدرا، المصدر الدال على الوحدة أن تقول عَيشة، وأما إذا قلت عِيشة فهي فعلة تدل على الهيئة، كما قال ابن مالك رحمه الله:

وفعلة لمرة كجَلسةٍ **** وفعلة لهيئة كجِلسةً.

٣. قوله تعالى: [فأمه هاوية] أم هنا بمعنى مقصوده، أي: الذي يقصده الهاوية، والهاوية من أسماء النار، يعني أنه مآله إلى نار جهنم. والعياذ بالله ..

وقيل: إن المراد بالأم هنا: أم الدماغ، والمعنى: أنه يلقى في النار على أم رأسه. نسأل الله السلامة، وإذا كانت الآية تحتمل معنيين لا يترجح أحدهما على الآخر ولا يتنافيان فإنه يؤخذ بالمعنيين جميعاً فيقال: يرمى في النار على أم رأسه، وأيضاً ليس له مأوى ولا مقصد إلا النار.

٤. قوله تعالى: [فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية. وأما من خفت موازينه. فأمه هاوية] في هذه الآية التخويف والتحذير من هذا اليوم وأن الناس لا يخرجون عن حالين: إما رجل رجحت حسناته، أو رجل رجحت سيئاته.

وفيها أيضاً دليل على أن يوم القيامة فيه موازين، وقد جاء في بعض النصوص أنه ميزان فهل هو واحد أو متعدد؟

قال بعض أهل العلم: إنه واحد وإنما جمع باعتبار الموزون، لأنه يوزن فيه الحسنات والسيئات، وتوزن فيه حسنات فلان وفلان، وتوزن فيه حسنات هذه الأمة والأمة الأخرى، فهو مجموع باعتبار الموزون لا باعتبار الميزان، وإلا فالميزان واحد.

وقال بعض أهل العلم: إنها موازين متعددة، لكل أمة ميزان، ولكل عمل ميزان فلهذا جمعت.

والأظهر –والله أعلم– أنه ميزان واحد لكنه جمع باعتبار الموزون على حسب الأعمال، أو على حسب الأمم، أو على حسب الأفراد.

وفي هذه الآية دليل على أن الإنسان إذا تساوت حسناته وسيئاته فإنه قد سكت عنه في هذه الآية، ولكن بيّن الله تعالى في سورة الأعراف أنهم لا يدخلون النار وإنما يحبسون في مكان يقال له الأعراف، وذكر الله تعالى في سورة الأعراف ما يجري بينهم وبين المؤمنين، وأنهم إذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين.

[سورة التكاثر]

١. قوله تعالى: [حتى زرتم المقابر] استدل به عمر بن عبد العزيز –رحمه الله– على أن الزائر لابد أن يرجع إلى وطنه، وأن القبور ليست بدار إقامة، وكذلك يذكر عن بعض الأعراب أنه سمع قارئ يقرأ: {ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر}، فقال: "والله لنبعثن"، لأن الزائر كما هو معروف يزور ويرجع، فقال: "والله لنبعثن" . وهذا هو الحق. وبهذا نعرف أن ما يذكره بعض الناس الآن في الجرائد وغيرها. يقول عن الرجل إذا مات: (إنه انتقل إلى مثواه الأخير)، إن هذا كلام باطل وكذب؛ لأن القبور ليس هي المثوى الأخير، بل لو أن الإنسان اعتقد مدلول هذا اللفظ لصار كافراً بالبعث، والكفر بالبعث ردة عن الإسلام، لكن كثيرًا من الناس يأخذون الكلمات ولا يدرون ما معناها، ولعل هذه موروثة عن الملحدين الذين لا يقرون بالبعث بعد الموت. لهذا يجب تجنب هذه العبارة، فلا يقال عن القبر إنه المثوى الأخير؛ لأن المثوى الأخير إما الجنة، وإما النار في يوم القيامة.

٢. قوله تعالى: [كلا سوف تعلمون. ثم كلا سوف تعلمون] قيل: إن {كلا} بمعنى الردع يعني: ارتدعوا عن هذا التكاثر، وقيل: إنها بمعنى حقًّا، ومعنى {سوف تعلمون} أي: سوف تعلمون عاقبة أمركم إذا رجعتم إلى الآخرة، وأن هذا التكاثر لا ينفعكم.

٣. جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم (يقول ابن آدم: مالي ومالي –يعني: يفتخر به –وليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت) والباقي تاركه لغيرك وهذا هو الحق، أموالنا التي بين أيدينا، إما أن نأكلها فتفنى، وإما أن نلبسها فتبلى، وإما أن نتصدق بها فنمضيها وتكون أمامنا يوم القيامة، وإما أن نتركه لغيرنا لا يمكن أن يخرج المال الذي بأيدينا عن هذه القسمة الرباعية.

٤. قوله تعالى: [لترون الجحيم. ثم لترونها عين اليقين] {لترون} هذه الجملة مستقلة ليست جواب ((لو)) ولهذا يجب على القارئ أن يقف عند قوله: {كلا لو تعلمون علم اليقين} ونحن نسمع كثيراً من الأئمة الذين عندهم علم يَصِلُون فيقولون {كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم} وهذا الوصل إما غفلة منهم ونسيان، وإما أنهم لم يتأملوا الآية حق التأمل، وإلا لو تأملوها حق التأمل لوجدوا أن الوصل يفسد المعنى لأنه إذا قال ((كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم)) صار رؤية الجحيم مشروطة بعلمهم، وهذا ليس بصحيح، لذلك يجب التنبه والتنبيه لهذا، من سمع أحد يقرأ ((كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم)) ينبه ويقول له: يا أخي هذا الوصل يوهم فساد المعنى، فلا تصل وقف؛

أولاً: لأنها رأس آية، والمشروع أن يقف الإنسان عند رأس كل آية.

وثانياً: أن الوصل يفسد المعنى ((كلا لو تعلمون علم اليقين . لترون الجحيم)) إذاً {لترون الجحيم} جملة مستأنفة لا صلة لها بما قبلها، وهي جملة قسمية، فيما قسم مقدر والتقدير: والله لترون الجحيم، ولهذا يقول المعربون في إعرابها: إن اللام موطئة للقسم، وجملة ((ترون)) هي جواب القسم، والقسم محذوف والتقدير ((والله لترون الجحيم)).

٥. قوله تعالى: [ثم لتسألن يومئذ عن النعيم] اختلف العلماء رحمهم الله في قوله: {لتسألن يومئذ عن النعيم} هل المراد الكافر، أم المراد المؤمن والكافر؟

والصواب: أن المراد المؤمن والكافر كل يسأل عن النعيم، لكن الكافر يسأل سؤال توبيخ وتقريع، والمؤمن يسأل سؤال تذكير، والدليل على أنه عام ما جرى في قصة النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر، فعن أبي هريرة قال: (خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ عُمَرَ فَقَالَ مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ قَالَا الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا قُومُوا فَقَامُوا مَعَهُ فَأَتَى رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ مَرْحَبًا وَأَهْلًا فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيْنَ فُلَانٌ قَالَتْ ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنْ الْمَاءِ إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَاحِبَيْهِ ثُمَّ قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي قَالَ فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ فَقَالَ كُلُوا مِنْ هَذِهِ وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ فَذَبَحَ لَهُمْ فَأَكَلُوا مِنْ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ الْعِذْقِ شَرِبُوا فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ الْجُوعُ ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ). وفي رواية أخرى: ((هذا والذي نفسي بيده من النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة، ظل بارد، ورطب طيب، وماء بارد)). وهذا يدل على أن الذي يُسأل المؤمن والكافر، ولكن يختلف السؤال، سؤال المؤمن سؤال تذكير بنعمة الله عز وجل عليه حتى يفرح، ويعلم أن الذي أنعم عليه في الدنيا ينعم في الآخرة، بمعنى أنه إذا تكرم بنعمته عليه في الدنيا تكرم عليه بنعمته في الآخرة، أما الكافر فإنه سؤال توبيخ وتنديم.

[سورة العصر]

١. قوله تعالى: [والعصر] العصر قيل: إن المراد به آخر النهار، لأن آخر النهار أفضله، وصلاة العصر تسمى الصلاة الوسطى، أي: الفضلى كما سماها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك. وقيل: إن العصر هو الزمان. وهذا هو الأصح.

٢. قوله تعالى: [لفي خسر] أبلغ من قوله: (لخاسر) وذلك أن ((في)) للظرفية فكأن الإنسان منغمس في الخسر، والخسران محيط به من كل جانب.

[سورة الهمزة]

١. قوله تعالى: [ويل لكل همزة] {ويل} كلمة وعيد، وقيل إنها اسم لواد في جهنم ولكن الأول أصح.

٢. قوله تعالى: [لكل همزة لمزة] والهمزة واللمزة وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟

قال بعض العلماء: إنهما لفظان لمعنى واحد، يعني أن الهمزة هو اللمزة.

وقال بعضهم: بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وثم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير، وغير التفسير وهي: أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد، أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى، لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيسًا وتفريقًا بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية {لكل همزة لمزة} أن بينهما فرقًا: فالهمز: بالفعل. واللمز: باللسان، كما قال الله تعالى: {ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون}. فالهمز بالفعل يعني أنه يسخر من الناس بفعله إما أن يلوي وجهه، أو يعبس بوجهه، أو بالإشارة بأن يشير إلى شخص، انظروا إليه ليعيبه أو ما أشبه ذلك، فالهمز يكون بالفعل، واللمز باللسان.

٣. قوله تعالى: [كلا لينبذن في الحطمة] {كلا} هنا يسميها العلماء حرف ردع أي: تردع هذا القائل أو هذا الحاسب عن قوله أو عن حسبنه. ويحتمل أن تكون بمعنى حقا ((يعني حقا لينبذن)) وكلاهما صحيح.

{لينبذن في الحطمة} اللام هذه واقعة في جواب القسم المقدر، والتقدير ((والله لينبذن في الحطمة)) أي: يطرح طرحا. وإذا قلنا: أن اللام لجواب القسم صارت هذه الجملة مؤكدة باللام، ونو التوكيد، والقسم المحذوف. ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، أي تأكيد الشيء باليمين، واللام، والنون. والله تعالى يقسم بالشيء تأكيدا له وتعظيما لشأنه. {الحطمة} هي التي تحطم الشيء، أي: تفتته وتكسره.

٤. قوله تعالى: [عليهم نار مؤصدة] أي مغلقة. مغلقة الأبواب لا يُرجى لهم فرج.

[سورة الفيل]

هذه السورة العظيمة بين الله سبحانه وتعالى فيها ما فعل بأصحاب الفيل وأن كيدهم صار في نحورهم، وهكذا كل من أراد الحق بسوء فإن الله تعالى يجعل كيده في نحره، وقد حمى الله عز وجل الكعبة عن هذا الفيل مع أنه في آخر الزمان سوف يُسلط عليها رجل من الحبشة يهدمها حجراً حجراً حتى تتساوى بالأرض لأن قصة أصحاب الفيل مقدمة لبعثة الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي يكون فيها تعظيم البيت، أما في آخر الزمان فإن أهل البيت إذا أهانوه وأرادوا فيه بإلحاد بظلم، ولم يعرفوا قدره حينئذ يسلط الله عليه من يهدمه حتى لا يبقى على وجه الأرض، ولهذا يجب على أهل مكة خاصة أن يحترزوا من المعاصي والذنوب والكبائر، لئلا يُهينوا الكعبة فيذلهم الله عز وجل.

[سورة قريش]

قوله تعالى: [الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف] {الذي} هذه صفة للرب، إذاً فمحلها النصب، ولهذا يحسن أن تقف فتقول {فليعبدوا رب هذا البيت} ثم تقول: {الذي أطعمهم} لأنك لو وصلت فقلت: {رب هذا البيت الذي أطعمهم} لظن السامع أن ((الذي)) صفة للبيت، وهذا بعيد من المعنى ولا يستقيم به المعنى.

[سورة الماعون]

١.قوله تعالى: [يدع اليتيم] يدفعه بعنف، لأن الدع هو الدفع بعنف كما قال الله تعالى: {يوم يدعون إلى نار جهنم دعا} أي: دفعا شديدا.

٢. قوله تعالى: [ويمنعون الماعون] أي: يمنعون ما يجب بذله من المواعين وهي الأواني، يعني يأتي الإنسان إليهم يستعير آنية، يقول: أنا محتاج إلى دلو، محتاج إلى إناء أشرب به، أو محتاج إلى مصباح كهرباء وما أشبه ذلك، فيمنع. فهذا أيضاً مذموم. ومنع الماعون ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: يأثم به الإنسان.

القسم الثاني: قسم لا يأثم به، لكن يفوته الخير.

فما وجب بذله فإن الإنسان يأثم بمنعه، وما لم يجب بذله فإن الإنسان لا يأثم بمنعه لكن يفوته الخير. مثال ذلك: إنسان جاءه رجل مضطر يقول: أعطني إناءً أشرب به، فإن لم أشرب مت، بذل الإناء له واجب يأثم بتركه الإنسان، حتى إن بعض العلماء يقول: لو مات هذا الإنسان فإنه يضمنه بالدية، لأنه هو سبب موته ويجب عليه بذل ما طلبه.

[سورة الكوثر]

١. قوله تعالى: [إنا أعطيناك الكوثر] الكوثر: في اللغة العربية هو الخير الكثير.

٢. قوله تعالى: [إن شانئك هو الأبتر] {شانئك} أي مبغضك، والشنئان هو البغض، ومنه قوله تعالى:{ولا يجرمنكم شنئان قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا} أي: لا يحملنكم بغضهم أن تعتدوا. {الأبتر} اسم تفضيل من بتر بمعنى قطع، يعني هو الأقطع. المنقطع من كل خير. وذلك أن كفار قريش يقولون: محمد أبتر، لا خير فيه ولا بركة فيه ولا في إتباعه، أبتر لما مات ابنه []القاسم رضي الله عنه قالوا: محمد أبتر، لا يولد له، ولو ولد له فهو مقطوع النسل، فبين الله عز وجل أن الأبتر هو مبغض الرسول عليه الصلاة والسلام فهو الأبتر المقطوع عن كل خير، الذي ليس فيه بركة، وحياته ندامة عليه، وإذا كان هذا في مبغضه فهو أيضاً في مبغض شرعه، فمن أبغض شريعة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو أبغض شعيرة من شعائر الإسلام، أو أبغض أي طاعة مما يتعبد به الناس في دين الإسلام فإنه كافر، خارج عن الدين لقول الله تعالى: {ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم}. ولا حبوط للعمل إلا بالكفر.

[سورة الكافرون]

قوله تعالى: [لا أعبد ما تعبدون. ولا أنتم عابدون ما أعبد. ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد] كُررت الجمل على مرتين، مرتين. {لا أعبد ما تعبدون} أي: لا أعبد الذين تعبدونهم، وهم الأصنام . {ولا أنتم عابدون ما أعبد} وهو الله، و((ما)) هنا في قوله: {ما أعبد} بمعنى ((من) لأن اسم الموصول إذا عاد إلى الله فإنه يأتي بلفظ ((من)).

{ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد}: قد يظن الظان أن هذه مكررة للتوكيد، وليس كذلك لأن الصيغة مختلفة {لا أعبد ما تعبدون} فعل، {ولا أنا عابد ما عبدتم} ((عابد)) و((عابدون)) اسم، والتوكيد لابد أن تكون الجملة الثانية كالأولى. إذاً القول بأنه كرر للتوكيد ضعيف، إذاً لماذا هذا التكرار؟

قال بعض العلماء: {لا أعبد ما تعبدون} أي: الآن، {ولا أنا عابد ما عبدتم} في المستقبل، هذا قول، فصار {لا أعبد ما تعبدون} أي: في الحال، {ولا أنا عابد ما عبدتم} يعني في المستقبل؛ لأن الفعل المضارع يدل على الحال، واسم الفاعل يدل على الاستقبال، بدليل أنه عمل، واسم الفاعل لا يعمل إلا إذا كان للاستقبال، {لا أعبد ما تعبدون} الآن، {ولا أنتم عابدون ما أعبد} يعني الآن، {ولا أنا عابد ما عبدتم} يعني في المستقبل، {ولا أنتم عابدون ما أعبد} يعني في المستقبل.

لكن أورد على هذا القول أورد إيراد كيف قال: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} مع أنهم قد يؤمنون فيعبدون الله؟! وعلى هذا فيكون في هذا القول نوع من الضعف.

وأجابوا عن ذلك بأن قوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} يخاطب المشركين الذين عَلِم الله تعالى أنهم لن يؤمنوا. فيكون الخطاب ليس عامًّا، وهذا مما يضعف القول بعض الشيء.

فعندنا الآن قولان:

الأول: أنها توكيد.

والثاني: أنها في المستقبل.

القول الثالث: {لا أعبد ما تعبدون} أي: لا أعبد الأصنام التي تعبدونها، {ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي: لا تعبدون الله، {ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي: في العبادة يعني ليست عبادتي كعبادتكم، ولا عبادتكم كعبادتي، فيكون هذا نفي للفعل لا للمفعول به، يعني ليس نفيًا للمعبود، لكنه نفي للعبادة أي لا أعبد كعبادتكم، ولا تعبدون أنتم كعبادتي، لأن عبادتي خالصة لله، وعبادتكم عبادة شرك.

القول الرابع: اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– أن قوله {لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد} هذا الفعل، فوافق القول الأول في هذه الجملة، {ولا أنا عابد ما عبدتم. ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي: في القبول، بمعنى ولن أقبل غير عبادتي، ولن أقبل عبادتكم، وأنتم كذلك لن تقبلوا،

فتكون الجملة الأولى عائدة على الفعل، والجملة الثانية عائدة على القبول والرضا، يعني لا أعبده ولا أرضاه، وأنتم كذلك، لا تعبدون الله ولا ترضون بعبادته.

وهذا القول إذا تأملته لا يرد عليه شيء، لا يرد عليه شيء من الهفوات السابقة، فيكون قولاً حسناً جيداً.

ومن هنا نأخذ أن القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر لغير فائدة إطلاقاً، ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة، لأننا لو قلنا: إن في القرآن شيئاً مكرراً بدون فائدة لكان في القرآن ما هو لغو، وهو منزه عن ذلك، وعلى هذا فالتكرار في سورة الرحمن {فبأي آلاء ربكما تكذبان}، وفي سورة المرسلات {ويل يومئذ للمكذبين} تكرار لفائدة عظيمة، وهي أن كل آية مما بين هذه الآية المكررة، فإنها تشمل على نعم عظيمة، وآلاء جسيمة، ثم إن فيها من الفائدة اللفظية التنبيه للمخاطب حيث يكرر عليه {فبأي آلاء ربكما تكذبان}، ويكرر عليه ب{ويل يومئذ للمكذبين}.

[سورة النصر]

السورة لها مغزى، مغزى عظيم لا يتفطن له إلا الأذكياء، ولهذا لما سمع عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– أن الناس انتقدوه في كونه يُدني عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما– مع صغر سنه ولا يدني أمثاله من شباب المسلمين، وعمر –رضي الله عنه– من أعدل الخلفاء أراد أن يبين للناس أنه لم يحابِ ابن عباس في شيء، فجمع كبار المهاجرين والأنصار في يوم من الأيام ومعهم عبد الله بن عباس وقال لهم: ما تقولون في هذه السورة {إذا جاء نصر الله والفتح} حتى ختم السورة ففسروها بحسب ما يظهر فقط، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، ولم يقل بعضهم شيئا. فقال: ما تقول يا ابن عباس قال: يا أمير المؤمنين هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلّم، أعلمه الله له: {إذا جاء نصر الله والفتح} فتح مكة فذاك علامة أجلك، {ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا. فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا} فقال عمر: ((والله ما أعلم منها إلا ما تعلم)). فتبيّن بذلك فضل ابن عباس وتميزه، وأن عنده من الذكاء والمعرفة بمراد الله عز وجل.

[سورة المسد]

١. أعمام الرسول عليه الصلاة والسلام انقسموا في معاملته ومعاملة ربه عز وجل إلى ثلاثة أقسام:

– قسم آمن به وجاهد معه، وأسلم لله رب العالمين.

– وقسم ساند وساعد، لكنه باق على الكفر.

– وقسم عاند وعارض، وهو كافر.

أما الأول: فالعباس بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد المطلب، والثاني أفضل من الأول؛ لأن الثاني من أفضل الشهداء عند الله عز وجل، ووصفه النبي عليه الصلاة والسلام بأنه أسد الله، وأسد رسوله، واستشهد رضي الله عنه في أحد في السنة الثانية من الهجرة.

أما الذي ساند وساعد مع بقائه على الكفر فهو أبو طالب، أبو طالب قام مع النبي صلى الله عليه وسلّم خير قيام في الدفاع عنه ومساندته ولكنه –والعياذ بالله– قد سبقت له كلمة العذاب، لم يُسلم حتى في آخر حياته في آخر لحظة من الدنيا عرض عليه النبي صلى الله عليه وسلّم أن يسلم ولكنه أبى بل ومات على قوله: إنه على ملة عبد المطلب، فشفع له النبي عليه الصلاة والسلام حتى كان في ضحضاح من نار، وعليه نعلان يغلي منهما دماغه.

أما الثالث: الذي عاند وعارض فهو أبو لهب، أنزل الله فيه سورة كاملة تُتلى في الصلوات فرضها ونفلها، في السر والعلن، يُثاب المرء على تلاوتها، على كل حرف عشر حسنات.

٢. قوله تعالى: [تبت يدا أبي لهب] والتباب الخسار. كما قال تعالى: {وما كيد فرعون إلا في تباب} أي: خسار.

٣. قوله تعالى: [ما أغنى عنه ماله] ((ما)) هذه يحتمل أن تكون استفهامية والمعنى: أي شيء أغنى عنه ماله وما كسب؟

والجواب: لا شيء، ويحتمل أن تكون ((ما)) نافية، أي لم يغن عنه ماله وما كسب شيئاً، وكلا المعنيين متلازمان، ومعناهما: أن ماله وما كسب لم يغنِ عنه شيئاً.

[سورة الإخلاص]

قول تعالى: [قل هو الله أحد] {هو} ضمير الشأن عن المعربين.

قوله تعالى: [الله الصمد] {الصمد} أجمع ما قيل في معناه: أنه الكامل في صفاته، الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

[سورة الفلق]

الحسّاد نوعان: نوع يحسد ويكره في قلبه نعمة الله على غيره، لكن لا يتعرض للمحسود بشيء، تجده مهموماً مغموماً من نعم الله على غيره، لكن لا يعتدي على صاحبه، والشر والبلاء إنما هو بالحاسد إذا حسد. ولهذا قال: {إذا حسد}. ومن حسد الحاسد العين التي تصيب المُعان يكون هذا الرجل عنده كراهة لنعم الله على الغير فإذا أحس بنفسه أن الله أنعم على فلان بنعمة خرج من نفسه الخبيثة (معنى) لا نستطيع أن نصفه لأنه مجهول، فيصيب بالعين، ومن تسلط عليه أحياناً يموت، وأحياناً يمرض، وأحياناً يُجن، حتى الحاسد يتسلط على الحديد فيوقف اشتغاله، ربما يصيب السيارة بالعين وتنكسر أو تتعطل، وربما يصيب رفَّاعة الماء، أو حراثة الأرض، فالعين حق تصيب بإذن الله عز وجل، وذكر الله عز وجل الغاسق إذا وقب، النفاثات في العقد، الحاسد إذا حسد؛ لأن البلاء كله في هذه الأحوال الثلاثة يكون خفيًّا، الليل ستر وغشاء {والليل إذا يغشى}، يكمن به الشر ولا يعلم به. {النفاثات في العقد} أيضاً السحر خفي لا يعلم. {حاسد إذا حسد} العائن أيضاً خفي تأتي العين من شخص تظن أنه من أحب الناس إليك وأنت من أحب الناس إليه ومع ذلك يصيبك بالعين. لهذا السبب خص الله هذه الأمور الثلاثة: الغاسق إذا وقب، والنفاثات في العقد، والحاسد إذا حسد، وإلا فهي داخلة في قوله: {من شر ما خلق}.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأجمعين والحمد لله رب العالمين.